

الحديد والظرد

فى

رحلة إلى الربع الخالي

رفيق شاكر النشرة

الطبعة الثالثة

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

الطبعة الأولى : الدوحة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م
الطبعة الثانية : بيروت ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م
الطبعة الثالثة : الرياض ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

حقوق الطبع محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاهداء :

إلى المرجوم الشيخ قاسم بن حمد آل ثاني صاحب الفضل
في هذه الرحلة موضوع الكتاب.
رمزاً و عنواناً للوفاء،

المؤلف

مقدمة الطبعة الثالثة

لم يكن يخطر ببالي ان اطبع هذا الكتاب طبعة اخرى ، ولكن كثرة الحاح عدد من الاخوة الافاضل المهتمين بادب الرحلات ، ورياضة الصيد ، دفعني لان اعطي هذه الطبعة (الثالثة)اهتماماً يتناسب مع تطورات هذه الهواية ، ولذلك جاءت هذه الطبعة مزيدة الى ضعف مادة طبعة الدوحة - قطر - عام ١٩٦٥م والطبعة الثانية - بيروت عام ١٩٦٨م.

وانني امل ان يجد المهتمون بالرحلات ، والصيد ، في هذا الكتاب ما يشبع رغبتهم وكذلك الذين يرغبون في الاستمتاع بقراءة ما كتبه الاقدمون من العرب عنها وممارستهم لها .

واذا كانت هذه الطبعة قد تضمنت معلومات موسعة لم تتضمنها الطبعتان السابقتان عن الصيد عند العرب ،، عن حيوانات الصيد وطيورها ، فاني ابقيت على احداث وتسلسل الرحله الى الربع الخالي كما كانت في الطبعتين السابقتين.

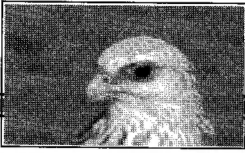
ولا يفوتني ان اسجل شكري وتقديري الى جميع الاخوة الذين شجعوني على اصدار هذه الطبعة الثالثة ، وكذلك الاخوة في شركة دارالعقل للطباعة الإلكترونية ، ومطابع الفرزدق ، ودار ثقيف للنشر ، الذين ساهموا في طباعة واخراج ونشر هذا الكتاب .

المؤلف

رفيق شاكر النتشة

الرياض

١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م



مقدمة الطبعة الأولى

ظل الربع الخالي منذ العصور الموعلة في القدم حتى عهد قريب - ذلك الجزء المجهول من الكرة الأرضية الذي لانعرف عنه إلا مايتناقله الناس من أخبار تشبه الأساطير.

فقد كنا نسمع عن وجود الإنسان المتوحش هناك، وعن الحيوانات الغريبة المخيفة المفترسة، وعن الحيات التي تبتلع الجمال وما على شاكلتها!، وعن الرمال المتحركة التي تظمر القبائل مع جمالها وتغيبهم فجأة، بحيث لا تبقى منهم باقية ولا يعثر لهم على أثر، وعن أساطير كثيرة ليست من الحقيقة في شيء.

وقد ظلت فكرة ارتياد الربع الخالي تراود خيال كثير من المكتشفين والمغامرين الأجانب، حتى كانت أمنية كبيرة عند اناس كثيرين أن يحاولوا اكتشاف هذا الجزء المجهول والكتابة عنه.

ولقد كتب لورنس مرة عام ١٩٢٩م. إلى النبيل «ترنشارد» مارشال القوى الجوية الملكية البريطانية مقترحاً عليه أن تنحرف طائرة «R 100» عن طريق طيرانها التجريبي إلى الهند كي تمر فوق الربع الخالي.

وقال لورانس «أن المرور فوق الربع الخالي سيكون دعاية عظيمة للطائرة وبداية عهد استكشافي.

أن هذه الصحراء مجهولة تماماً ولن يقدر شيء غير الطيران أن يقوم بهذا العمل وأنا أريد أن يكون طيراننا هو السباق في هذا المضمار».

ولكن لم يمض عام ١٩٣٩م. إلا وكان «توماس» و «فيلبي» قد برهنا أن الصحراء يمكن أن تقطع بواسطة الجمال.



لقد سبق أن قطع الربع الخالي، وكتب عنه مكتشفون قلائل أهمهم توماس، وفيلبي وثيسيغر.

وإذا كان هؤلاء قد قطعوا تلك الفيافي والقفار والرمال بواسطة الجمال، فقد قدر لي أن اقطعه بالسيارات مرافقاً سمو الأمير قاسم بن حمد آل ثاني، الذي جاب أنحاء الربع الخالي واصطاد فيه المها حيا عدة مرات، مما جعله يعتبر من أوائل المكتشفين العرب الذي تعرفوا على هذا الجزء المجهول من الوطن العربي.

كنت اسمع الكثير عن الربع الخالي، من البدو وعن غرائب مافيه، وكنت أتمنى أن تتاح لي فرصة الذهاب إلى ذلك المكان رغم المشاق والمتاعب التي أتوقع مصادفتها في رحلة من هذا النوع.

وقد شاء الله أن تتاح لي الفرصة لمرافقة سمو الأمير لقضاء إجازة منتصف العام الدراسي ١٩٦٥م، في الربع الخالي حيث المخاطر والاهوال.

وأني إذ اسجل في هذا الكتاب ملاحظاتي ومشاهداتي عما صادفته في هذه المنطقة المجهولة التي لم يكتب عنها أي عربي حتى الآن، أرجو أن أوفق في إعطاء القارئ العربي صورة واضحة عن (الربع الخالي).

هذا ولايفوتني أن اشكر كل من ساهم في اخراج هذا الكتاب واخص بالشكر الشيخ قاسم بن حمد آل ثاني وزير المعارف - صاحب الفضل الأول في اخراجه.

المؤلف



[مدخل]

رحلتان في الأردن

نمت عندي الرغبة في الاستكشاف والتعرف على المجهول منذ كنت طالباً. فقد كنت مشتركاً في الفرقة المدرسية الكشفية، وكنا نخرج رحلات إلى الجبال في أيام الربيع حيث ننعم بجمال الطبيعة بجمالها المكسوة بالغابات وسهولها المفروشة بالازهار والرياحين.

وقد رأيت قبل أن أبدأ في ذكر مشاهداتي عن رحلتي إلى الربع الخالي، أن أسجل مشاهداتي عن رحلتين هامتين قمت بهما حينما كنت كشافاً منذ ثلاثة عشر عاماً. كانت أولاهما يوم كنت طالباً كشافاً وثانيهما حين كنت مديراً لمدرسة بتير في لواء الكرك جنوبي المملكة الأردنية الهاشمية.

مغارة الصفا

كنا في معسكر كشفي في جبال الخليل في فلسطين على مقربة من مغارة ذات باب كبير في بطن جبل مرتفع في وادي القُف، يروى عنها كثير من الأساطير، فقد قيل عنها أنها تصل ما بين الخليل والقدس ويافا، وأنها مسكن للجن والعفاريت والسباع والضباع والأسود والحيات الكبيرة التي تبتلع الإنسان والحيوان!

وقررنا ذات يوم أن نذهب نهائياً مع طليعة كشفية لاكتشاف هذا الغار الذي يسمى (غار الصفا).

أخذنا معنا بعض الحبال والمصابيح الكبيرة للاضاءة داخل الغار، وبعض اسلحتنا احتساباً للطوارئ، وما يلزم لمثل هذه الرحلة من حبال وعصى وسكاكين، وأخذنا ننزل وادياً ونتسلق جبلاً حتى وصلنا أمام الغار الذي يبلغ قطر مدخله عدة أمتار.



أشعلنا المصابيح وقسمنا انفسنا إلى مجموعات وسرنا على بركة الله، وما كدنا نقطع عدة أمتار داخل الغار حتى لم تعد المصابيح تؤثر في ذلك الظلام الدامس رغم شدة ضوئها.

عدنا إلى باب الغار وقررنا استعمال بعض النباتات الجافة بدل المصابيح وذلك باحراقها طيلة الطريق مع كمية من (الكاوتشوك) الذي يستعمل في اطارات السيارات.

نجحت التجربة واعطتنا الحشائش مع قطع الكاوتشوك نوراً يكفي للسير داخل الغار وكلما سرنا خطوات صادفنا سرب من الخفافيش كنا نحسبه أسداً هزيراً أو حيواناً مفترساً، أو حية فاغرة فاهاً!

وبعد أن مشينا عدة ساعات مررنا ببركة ماء صغيرة وتسلقنا بعدها مرتفعاً ثم أخذ اتساع الغار يضيق شيئاً فشيئاً إلى أن وصلنا إلى النهاية حيث وجدنا ممراً ضيقاً يبدو أنه جحر ثعلب!! ولم نر القدس ولا يافا ...

عدنا من هذه الرحلة كاملي العدد، فلم يبتلعنا حيوان ولم يصادفنا انسان وبذلك لم نعد نصدق شيئاً من تلك الأساطير .. عن ذلك الغار .. غار الصفا.



وادي بن حماد

في عام ١٩٥٤م كنت اعمل مديراً لمدرسة قرية (بتير) الواقعة على بعد خمسة عشر ميلاً إلى الشمال من الكرك^(١) والتي تطل على وادٍ سحيق يدعى وادي (بن حماد) الذي يخترقه سيل ماء كبير يتحول في الشتاء إلى نهر يصب في البحر الميت قرب (اللسان).

وكان من عادة أهل تلك القرية أن يتوجهوا في الربيع إلى منطقة جبلية تطل على البحر الميت فيها آبار معدنية ساخنة يقال أنها تشفي الأمراض.

وقد دعاني بعض الأصدقاء من أهل القرية لمرافقتهم أثناء عطلة الربيع فوافقت شريطة أن يرافقوني للوصول إلى البحر الميت عبر الوادي الذي تسير فيه المياه، ذلك الطريق الذي لم يمر فيه انسان من قبل، فوعدوا بتنفيذ الاتفاق.

وفي اليوم الموعد سرنا بانحدار شديد حتى وصلنا الآبار المعدنية، وبعد يومين من اقامتنا هناك طالبت بتنفيذ الجزء الثاني من الاتفاق، وهو الوصول إلى البحر الميت، ولكن لشد ما أسفت وبدا علي الحزن عندما لم أجد استجابة لرغبتي في للنزول إلى البحر، بحجة خطورة الطريق ووعورته وكثرة الشلالات المائية فيه.

وقد لاحظ علي اصدقائي خيبة املي فتهامسوا فيما بينهم، واتفقوا على أن يرافقوني عدة كيلومترات وسط مياه السيل، ثم لا البث أن ابدى خوفاً ورغبتي بالرجوع وبذلك (بتيجي مني ما بتيجي منهم)!

وانفردت اسارير وجهي عندما عرضوا علي الذهاب، فوافقت بشدة برغم كل الصعوبات التي تكلموا عنها.

(١) الكرك مدينة تاريخية تقع في جنوب المملكة الأردنية الهاشمية وعلى بعد عدة كيلو مترات جنوباً منها تقع قرية (مؤته) التي وقعت فيها المعركة الشهيرة.



وبدأنا سيرنا صباحاً مارين بالنباتات القصبية العالية التي كنا نزيحها من الطريق بأيدينا لنرى مواطئ أقدامنا، وما كدنا نصل إلى أرض ضحلة الماء حتى أخذنا نسرع في الخطو مما جعلنا نقهقه على أحد زملائنا (وكنا أربعة) عندما ترحلق على الحجارة اللزجة من طمي الماء وتلطخت ثيابه بالطين، وما كدنا ننهي ضحكنا حتى رأيتنا جميعاً على الأرض مثله مبتلين بالماء ملطخين بالطين وأخذ دوره بالضحك علينا - والبادى أظلم.

خلعنا أحذيتنا التي لم تعد تفيد شيئاً، ونزع كل منا (غترته وعقاله) وتحزم بهما، وواصلنا السير، وكنا كلما قطعنا مسافة نسمع هدير المياه عندما كان يضيق مجرى السيل فيسبب ذلك شلالاً مخيفاً، لا نلبث أن نمر عليه بسلام.

واخيراً وصلنا إلى شلال يهدر من مسافة بعيدة ما كدنا نصله حتى تيقنا أن لامجال لاجتيازه لولا أن رأيت جذع نخلة يزيد طوله عن عشرين متراً كان قد جرفه السيل منذ سنين واستقر هناك لضيق مجرى المياه.

طلبت من الزملاء أن نحاول زحزحة ذلك الجذع الثقيل وبعد محاولات يائسة استطعنا أن نجعل منه جسراً فوق الشلال فزحفنا فوقه وقطعنا الشلال. وشاء الله بعدها أن لانجد ما يمنعنا من مواصلة السير رغم وجود السبخات الكبرى التي تشقق الاقدام، لكثرة ما تحتويه من املاح ومواد كيماوية مختلفة.

وبالرغم من كل ما كان يصادفنا من صعوبات إلا أننا كنا نتمتع اثناء سيرنا برؤية الطيور ذات الالوان البديعة والتي كانت تغرد متنقلة من شجرة إلى أخرى على جانبي السيل فوق رؤوسنا وعلى ارتفاع لا يقل عن عشرين متراً.

ومن عجيب ما صادفنا تلك الشلالات المائية التي كانت تنزل من أعالي الصخور وكأنها ثلج ذائب من شدة برودتها وعلى مسافة قريبة منها شلالات أخرى غالية الماء، وأخرى ماؤها يختلط بزيوت ومواد كبريتية يعلم الله والراسخون في العلم من الكيمائيين ماهيتها وما تحتوي عليه.



وصلنا البحر الميت ظهراً وسرنا في منطقة اللسان - في غور المزرعة - وبعد
أن سبحنا في البحر وبدأت الاملاح تتسرب إلى اجسامنا، أخذنا نشعر وكأن
النار قد اشتعلت بنا.

اكلنا بعض الخضروات من الحقول المنتشرة هناك وخاصة البندورة، وعدنا من
نفس الطريق الذي يحتاج منا إلى صبر في الصعود أكثر من النزول ووصلنا -
بسلامة الله - المقر عند الابار المعدنية مع غروب الشمس ووجدنا الجميع
بانتظارنا وقد كانوا في غاية القلق علينا.



الصيد عن العرب

قبل الدخول في موضوع الكتاب والحديث عن رحلتنا إلى الربع الخالي رأيت من المناسب أن اعطي القارئ الكريم فكرة عن الصيد عند العرب في تاريخهم الماضي.

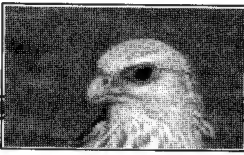
وجدت مهنة الصيد منذ وجد الإنسان إذ كانت وسيلة للحصول على قوته من الحيوانات والطيور، وتطورت هذه المهنة عبر العصور إلى أن أصبحت إحدى وسائل الحياة العصرية للإنسان بالإضافة، إلى الزراعة والصناعة.

وقد عُرفت مهنة الصيد والطرْد عند العرب منذ أقدم العصور، فكان العربي في جزيرة العرب يتخذ من الصيد وسيلة للقوت، أو الرياضة والمتعة، وكان يستعمل الوسائل المتاحة لديه في الصيد، ومن أهمها الخيل والسهام والرمح، واستعمل بعد ذلك الوحوش الضواري، والطيور الجوارح بعد أن دجّنها وضربها وعلمها وسخرها لصيده.

وكانت الجزيرة العربية موطناً لكثير من الحيوانات مثل النمر والذئب والفهد والضبع والشعلب والنعام وأنواع متعددة من الطيور، بالإضافة إلى أنواع مختلفة من الطباءء والوعول، وبقر الوحش (المها) والحمر الوحشية، بعضها انقرض وبعضها مازال باقياً إلى اليوم في أجزاء متفرقة من الجزيرة العربية.

ولم يقتصر الاهتمام بالصيد على العامة من الناس بصفته إحدى وسائل العيش، بل تعدى ذلك الاهتمام إلى الملوك وعلية القوم الذين كانوا يمارسونه هواية وتسلية ومتعة رياضية.

«وقد لهج ملوك ورؤساء العرب في الجاهلية بالصيد، واشتهروا بممارسته منذ أقدم الأزمنة، وكان منهم ذو يزن الحميري، ووعدة سيف، والمنذر ملك الحيرة، والحارث بن معاوية وهو أول من صاد بالصقر، ومرثد بن عبدكلال، وأما رؤساء العرب فمنهم لقيط بن زرارة، ومنهم عمرو بن الجون الكندي، ومنهم معد بن عدنان، وهو أول من طرد الوحش على الخيل. ومنهم كليب بن ربيعة الذي يضرب به المثل في العز فيقال: «اعز من كليب» وكان يحمي الصيد فيقول:



صيد كذا في جوارى، فلا يصاد ولا ينفر» ومن الصعاليك السليك بن السليكة، والشنفري، وكانا يسبقان الخيل ويصيدان الطباء عدوًّا. وكذلك تأبط شراً، ومن عرف بالصيد كذلك عامر بن عنترة، كان يعني بماشيته وكلابه شديد العناية حتى روي أنه عندما ادركته المنية لازمت كلابه قبره حتى ماتت عنده، ومنهم بنو جماز بن مالك بن النضر الأزدي، وكانوا عشرة خرجوا يصيدون فاهلكم المطر فكفر أبوه بالله، ودعا قومه إلى الكفر، وكان يقتل من عصاة وكان مثلاً يضرب في الكفر» (١).

وقد روي أن النبي اسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام كان مولعاً بالصيد محباً له متعباً نفسه فيه، مباشراً لعمل الات الرمي، وقد قصده أبوه إبراهيم زائراً لينظر إليه فلم يجده في محله لشغله في القنص (٢).

وقد عرف حمزة بن عبدالمطلب - رضي الله عنه - بولعه بالصيد وكان صياداً ماهراً، ذا أنفة وعزة ونجدة وشجاعة، حتى سمي في الإسلام أسد الله وأسد رسوله. وروي عن قصة اسلامه أنه عند منصرفه من صيده وعلى يده صقر، قالت له امرأة كانت ترى ما نال رسول الله ﷺ من أذى أبي جهل :

يا ابا عُمارة لو رأيت ما صنع أبو الحكم اليوم بابن أخيك فمضى على حاله وهو متعلق قوسه في عنقه، حتى إذا دخل المسجد. فالقى أبا جهل فعلى رأسه بقوسه فشجّه شجّه منكروه وصرخ في وجهه:

«أتشتّمه وأنا على دينه اقول مايقول؟» (٣)

(١) راجع مفصلاً: د. عباس مصطفى الصاحي، الصيد والطرْد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م.

(٢) راجع ابن كثير تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م ص ١٧٦.

(٣) راجع ابن هشام، سيره ابن هشام، مؤسسة علوم القرآن - دمشق - بيروت، ودار القبلية للثقافة الإسلامية - جدة، القسم الأول، ص ٢٦٢.



وكان للعرب آداب كريمة يراعونها عند الاستعداد للصيد، وإثناء المطاردة، وبعد القنص. ومن آدابهم أنهم كانوا يتهادون لحم الصيد ويقدمون للأصحاب والطاعمين القطعة اليسيرة من لحم الصيد لاقيمة لها ويجدون في ذلك متعة ومسرّة.

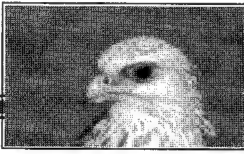
ومن أقدم هذه الآداب الكف عن صيد الحيوانات التي تلجأ اليهم بسبب شدة الجوع أو حدة العطش أو شدة البرد. وما زالت هذه العادات موجودة عند العرب إلى اليوم. واذكر أنني كنت مولعاً بالصيد منذ الصغر، اصيد العصافير، والحمام والحجل وغيرها مما كان يتوفر من طيور في جبال فلسطين وسهولها، وكان اهلنا يشجعوننا على الصيد إلا أنهم كانوا يمنعوننا بشدة ايذاء أي حيوان أو طير يلجأ إلى بيتنا بسبب شدة الجوع أو البرد خاصة في موسم الثلج، وكنا نطلق سراح العصافير أو الحمام الذي يدخل إلى بيوتنا بعد أن نطعمه، وكانوا يعتبرونه مثل الضيف أو المستجير.

«وعندما جاء الإسلام أقر الصيد وإباحة ووضع له الحدود والقواعد وبين ما يحل وما يحرم أكله من الحيوانات ومتى تكون الطريدة حلالاً ومتى تكون حراماً إلى آخر القواعد التي تعهدها شأنه في تنظيم البشرية وتهذيبها» (١)
وقد جاء في القرآن الكريم عدد من الآيات تبين التعليمات والتشريعات الخاصة بالصيد.

فقد جاء في سورة المائدة قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْفَلَاحِيذَ وَلَا
ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْفَعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ
شَتَانُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى
وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَنِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١﴾
آية ٢ سورة المائدة.

(١) الشيخ عبدالله بن محمد بن خميس (عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة ودمشق وبغداد)، محاضرات وبحوث، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م ص ١٤.



ومن سورة المائدة كذلك قوله تعالى :

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ يَعْلَمُونَهَا
مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَنْقُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾

ومن سورة المائدة كذلك قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَبِئْسَ مَا كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ شَيْءٌ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ
بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٤﴾

ومن سورة المائدة كذلك قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْنَلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَنَصَهُ مِنْكُم مَّتَعِدًا فَجَءَ مِثْلُ مَا قَنَصَ مِنْ
النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَٰلِكَ
صِيَامُ الْيَذْقِ وَبِالْأَمْرِ عَفَا اللَّهُ عَنْمَا سَلَفٌ وَمَن عَادَ فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿١٥﴾

ومن سورة المائدة كذلك قوله تعالى :

أُحِلَّ لَكُم صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلنَّاسِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا
اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٦﴾

كما روي عدد من الاحاديث عن الرسول ﷺ ، منها أن عدي بن حاتم الطائي أحد ملوك العرب في الجاهلية وكان مولعاً بالصيد صاحب كلاب وجوارح، سأل رسول الله ﷺ قائلاً:

إنا قوم نتصيد بهذه الكلاب. فقال ﷺ : إذا ارسلت كلابك المعلمة وذكرت اسم الله فكل مما أمسكن عليك إلا أن يأكل الكلب فلا تأكل فاني اخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه، وان خالطها كلاب من غيرها فلا تأكل» (١)

ومن آداب الصيد التي ذكرها مؤرخوا البيزرة (*) أنه ينبغي للمتصيد أن

(١) صحيح البخاري، دار احياء التراث الإسلامي، الجزء الأول، ص ١١٣.

(*) البيزرة : نسبة إلى الباز (الصقر) والعلوم الخاصة به.



يواظب على الصلوات فإذا كان في الصحراء وحضر وقت الصلاة فيجب أن يبدأ بالصلاة. وإذا فعل ذلك سهل عليه الصيد وإن لم يفعل عسر عليه فيكون ناقصاً في دينه خاسراً في صيده^(١).

وذلك لاغربة أن نقرأ في كل عصر حديثاً ممتعاً عن الصيد، أو كتاباً نافعاً. فهذا ابو الطيب الباخرزي يقول عن الصيد :

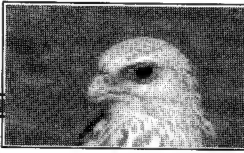
« وكفى بالصيد شرفاً انه - ان شئت - امتع نزهة، وأن اردت فهو حلال بلا شبهة، ولم يزل الملوك من عهد آدم - وأن كان العهد قد تقادم - إلى يومنا يعتادونه، والاكابر يرتادونه. ولولا أن فيه كثيراً من المنافع لما نص عليه القرآن بمواضع».

وقد افتى العلماء في مختلف العصور بإباحة الصيد وقد سئل الامام الاوزاعي رحمه الله عن قوم يقومون برحلة صيد هل يقصرون الصلاة؟ فأجاب نعم هم على حالة من السفر. بل أباح القاضي الفجيجي(*) الفطر للصائم وهو في رحلة صيد كالمسافر وقد عبر عن ذلك في قصيدة طويلة وصف فيها من مباحج الصيد في ٢١٥ بيتاً من الشعر تحدث فيه عن القانص، والصقر، والحباري، وتمنى فيها عودة ايام الصبا، وعن العاذل، والحسود، وتأسف فيها على القانص، كما تضرع إلى الله في عدة أبيات، وتحدث عن فقه الصيد وواجبات القانص ومما جاء فيها عن الصيد وحكمه : (٢)

(١) البيزرة، تحقيق محمد كرد علي، دمشق ١٩٥٣م، ص ١٢٣.

(*) هو القاضي أبو اسحق إبراهيم عبد الجبار الفجيجي، كان قاضي المدينة فجيح الواقعة شرق المغرب، وكان اريحياً مولعاً بالصيد بالصقر وتوفي في السودان عام ٩٠٢هـ - ١٥١٤م.

(٢) الدكتور عبدالهادي التازي، القنص بالصقر بين المشرق والمغرب، من منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، المغرب، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، من صفحة ١٢٤ - ١٣٧.



يلومونني في الصيد والصيد جامع
فاولها كسب الحلال به اتت
فصحة جسم ثم صحة ناظر
وبعد عن الارذال مع صون همة
إلى أن يقول :

وان سافر الصياد فالقصر جائز

لاشياء للانسان فيها منافع
نصوص كتاب الله وهي قواطع
واحكام اجراء السوابق رابع
واغلاق باب القيل والقال سابع .

مع الفطر، لاكما تقول الخنايع(*)

(*) الخنايع : جمع خنيع وهو كل مستتر تحت غيره.



الصيد

فى العصر الإسلامى

أصبح المسلمون فى زمن الخلفاء الراشدين فى رغد من العيش بعد أن فتح الله عليهم ابواب الدنيا، واتاهم الرزق رغداً من كل مكان، فلم يعد الصيد وسيلة أساسية من وسائل العيش إلا نادراً، ولكن كان شغلهم الشاغل الجهاد فى سبيل الله والدفاع عن العقيدة الإسلامية وأرض المسلمين، ولذلك لم تعرف هواية الصيد فى زمانهم بصورة واسعة لأنهم لم يكن لديهم الوقت الكافى للهو والمتعة والرياضة.

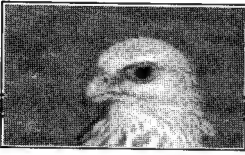
ولما آلت الخلافة إلى بنى أمية زادت الدنيا اقبالاً على المسلمين وزادت لديهم الثروة والغنى وأصبحوا يتمتعون بالوان من الطيبات، كما أصبحت الخلافة ملكاً عضوضاً، لذلك فلا عجب أن نجد أن هواية الصيد قد انتشرت فى عهدهم وأصبحت هواية تمارسها طبقات مختلفة من الناس بما فىهم الخلفاء، بعد أن كان ذلك غير مستحسن ولا مستحب فى مجتمع الخلفاء الراشدين.

انتشرت هواية الصيد فى العهد الأموي من أجل المتع والملذات ووسيلة للهو، مما كان يسبب الامتناع عند كثير من المسلمين الذين كانوا يعتبرون الانغماس فى هذا الأمر مثلبة للحكام والمسئولين، مما دعا بعضهم إلى الامتناع عن مبايعة يزيد بن معاوية بالخلافة بسبب ما عرف عنه من حب للصيد مما حدا عبد الله بن همام السلولى إلى القول فى بنى أمية :

لقد ضاعت رعييتكم وانتم تصيدون الارانب غافليناً (١)

وقد اشتهر هشام بن عبد الملك برحلات الصيد حتى أنه عرض نفسه للضرب والاهانة فى رحلة من رحلات الصيد هذه، فقد روى أنه ذات يوم انفرد فى رحلة

(١) المسعودى، مروج الذهب، الجزء الثالث، دار المعرفة، بيروت، ص ٣٧.



صيد عن صحبه فساقته قدماه إلى بيت شَعْر اعرابي وعنده فرس ارتبطه، وكان من هشام ما احفظ الأعرابي فتشاجرا فاغلظ هشام القول للأعرابي، فوثب الاعرابي على فرسه وطعن هشاماً برمحه فشجّه وادماه^(١).

«ومن شدة تعلق هشام بن عبد الملك بالصيد، جعل له منصباً خاصاً مثل بقية المناصب المهمة في الدولة، فكما كان للشرطة صاحب، وللحسبة صاحب، أصبح لدى الدولة الاموية للضواري صاحب، يقوم بتأديبها وترويضها وتطبيبها، وعين لها خبيراً واستاذاً في هذا الفن وهو الغطريف بن قدامة الغساني^(٢)».

وفي العصر العباسي اشتهر أبو العباس السفاح بهواية الصيد، فقد عرف عنه أنه بدأ الصيد وهو غلام صغير، وصاد ونوشاب يافع، ثم صاد وهو خليفة مكتمل، وكان كثير الولع بالضواري شديد اللهج بالصيد، وكان يخجل اشد الخجل إذا تخلفت ضواريه ولم تصد، وإذا نجح في صيده كان ينذر النذور لله، ويشيب اجزل الثواب للذي يظن أنه كان سبياً في هجابه^(٣).

ولما جاء ابو جعفر المنصور إلى الحكم، لم يَسِرْ في الصيد ونحوه من اساليب اللهو سيرة اخيه السفاح وذلك يسبب ما واجهه من ثورات وانتفاضات جعلته يسلك في حياته مسلك الجد. ولكن المنصور لم يستطع القضاء على ولع الناس بالصيد ولم يتمكن من كَقْهم عنه، بل إنه كان يعتقد أن الصيد سيفشوا في اولاده وحفدته وأنهم سيغرمون به غراماً يأخذه الناس عليهم، فأراد أن يجد لهم معذرة يعتذر عنهم بها، لذا فقد ركب ذات يوم فرساً مشهرة مشمراً عن ذيله وعلى يده باز حتى عبر الجسر بادياً وانكفاً فعبر الآخر راجعاً وتبينه الناس. فلما عاد إلى مجلسه قال لصاحبه الربيع : ما قال الناس في ركوب امير

(١) محمد بن منكلي، انس الملا في وحش الخلا، طباعة باريس عام ١٨٨٠م، ص ١٧.

(٢) الدكتور عبدالرحمن رأفت الباشا، شعر الطرد إلى نهاية القرن الثالث الهجري، مؤسسة الرسالة - دارالنفائس، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ص ٨٥.

(٣) ابو عبدالله بن الحسين، البيزورة، المجمع العلمي بدمشق، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م من ٤١-٤٢.



المؤمنين على هذا الحال؟ قال: عجبوا منها. قال: أنه كان لأمير المؤمنين في ذلك مذهب وهو انه سيأتي من ابنائنا من يحب الصيد ويبتذل فيه فاجبت أن يكون مني ما رأيت فمتى فعل مثله منا فاعل بعدي قال الناس قد ركب المنصور على مثل هذه الصورة (١).

ولم يكذب ابناء المنصور وحفدته وخلفاء بني العباس ظن أبي جعفر ولم يتمهلوا في هذا الامر الذي توقعه لهم كثيراً ولا قليلاً فها هو ذا ابنه المهدي ينشأ محباً للصيد مشغولاً به حتى أنه لا يكاد يتركه يوماً أو يصبر عنه (٢).

ومن اخبار رحلات المهدي ما رواه كشاجم (*) من أن المهدي كان في رحلة صيد ومعه علي بن سليمان وأبودلامة، فاثير أمامهم ظبي فرماه المهدي فصاده، ورمى علي بن سليمان فاصاب كلباً من كلاب الصيد فقتله، فقال أبودلامة:

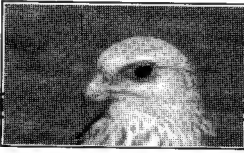
قد رمي المهدي ظبياً شكّ بالسهم فؤاده
وعلى بن سليمان رمي كلباً فصاده
فهنيئاً لهما كل امرئ يأكل زاده (٣)

وقيل أن المهدي من شدة ولعه بالصيد قد قتل في رحلة من رحلاته وذلك عندما طردت كلابه ظبياً فلم يزل يتبعها فاقترحم الظبي باب خربة فاقترحت

(١) البيزرة المصدر السابق، ص ٤٣.

(*) كشاجم: هو ابو الفتح محمود بن الحسن المعروف بكشاجم فلسطيني من مدينة الرملة ولد سنة ٢٩٥ هـ وتوفي سنة ٣٥٨ هـ أحد فحول الشعراء المجيدين والفضلاء المبرزين قيل أن اسمه (كشاجم) منحوت من عدة علوم كان يتقنها فالكاف للكتابة، والشين للشعر، والالف للانشاء والجيم من الجدل، والميم من المنطق. وقيل عنه ايضاً أنه كان طبيباً وخطيباً وكتب كتاباً عن الصيد يعتبر من أهم الكتب في هذا الفن.

(٣) ابو الفتح محمود بن الحسن الكاتب المعروف بكشاجم، المصايد والمطارد، تحقيق الدكتور محمد اسعد طلس، مطبوعات دار اليقظة، بغداد، ١٩٥٣ م، ص ١٦٦ (الذي سبق ذكره).



الكلاب خلفه واقتحم الفرس الذي كان عليه المهدي خلف الكلاب فدُق ظهره في باب الخربة فمات من ساعته^(١).

«ثم كان هارون الرشيد على ما عرف به من تقي وحزم صاحب ولع بالصيد وتعلق به، فقد روى صاحب البيزرة أن الرشيد كان ذا حظ في الصيد»^(٢)، وكان إذا نفي إليه خبر متقن في الصيد استقدمه إليه واتخذته لنفسه. وقد روى صاحب أنس الفلا أنه كان زمن الرشيد رجل من أهل البصرة اسمه إبراهيم البازيار يصيد جميع الطيور، وكان له كتاب في البيزرة ومن أدوات صيدة التي استحدثها نصب الدَّبَق^(٣)، وما زال يستعمل هذا الدَّبَق حتى اليوم في فلسطين وفي مدينة الخليل بصورة خاصة، وهو عبارة عن عيدان عليها مادة لاصقة تمسك بالطيور حال وقوفها عليها وهي منصوبة بين اغصان الاشجار التي ترتادها الطيور.

وكان للرشيد رحلات صيد ضخمة يقوم بها معه رجال دولته وبعض شعرائه من أمثال أبي نواس وجاء بعد الرشيد ابنه محمد الأمين، فكان أشد من أبيه ولعاً بالصيد وحرص عليه من كل من تقدمه، بل أنه بالغ في تعلقه بالصيد مبالغاً جاوزت كل حد، ففي عام ١٩٥هـ حيث كان الصراع بينه وبين أخيه المأمون في ذروته وكان مصيره معلقاً على وقفه حازمة يقفها، وجه قائده علي بن عيسى لحرب المأمون فقتل، فلما جاء نعيه كان الأمين في ذلك الوقت يصيد السمك على الشاطئ، فقال للذي نعى إليه قائده: دعني فإن كوثرأ (خادمه) اصطاد سمكتين وأنا ما صدت شيئاً^(٤). ولعل هذا ما حدا بأحد الشعراء إلى القول:

(١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، الجزء الخامس، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة السادسة، ص ٧١. وكذلك: الطبري، تاريخ الطبري، المجلد الرابع، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ص ٤١١.

(٢) البيزرة، مصدر سبق ذكره، ص ٤٣.

(٣) عيسى بن حسان الاسدي، الجمهرة في علوم البيزرة، نقلاً عن مخطوط كتبت منه نسخه سنة ٥٧٢هـ وهي بمكتبة ايا صوفيا. وكذلك المنكلي أنس الملا، مصدر سابق، ص ٧٢.

(٤) الطبري، مصدر سبق ذكره، ص ٥٢٤.



اضاع الخلافة غشُ الوزير وفسقُ الامير وجهُ المشير^(١)

ثم كان المعتصم بالله أكثرهم محالفة للصيد واخفهم فيه ركاباً لتوفر همته على الفروسية وما شاكلها^(٢) ولم يكن المتوكل أقل من ابيه المعتصم تعلقاً بالصيد واقبالاً عليه، فقد اولع بالفهود واغرى بها، واستكثر منها، وكان يهوى صيدها واللعب بها وهو إلى ذلك أول من تصيد بالشبكة ثم اتخذها الخلفاء من بعده^(٣).

وقد بلغ الاستهتار بالصيد غايته في زمن الخليفة المعتضد وعدا طوره، وكان كالمعتصم في أكثر اموره ومآربه وأشبه به من أهل بيته من الخلفاء لمباشرة الحرب والصيد وما اشبهما، ولم يكن ينفك من حرب إلا إلى صيد، ومن صيد إلا إلى حرب^(٤).

وشغف الخليفة المكتفي ابن المعتضد بالصيد منذ أيام صباه، وبقي هذا الشغف إلى ما بعد توليه الخلافة.. ومن طريف ما يروى عنه أنه وجد على نديمه وشاعره يحيى بن علي المنجم بهفوة ارتكبها وهما منصرفان من الرقة، فعاقبه بأن يرد إلى «قرقيسيا» وأن يبقى فيها حتى يصيد اسداً، فجعل الشاعر النديم يرسل للخليفة الصياد القصيدة تلو القصيدة يستعطفه بها ويستلينه، فكان مما قال:

لبخير إذا لم تصدنا السباع
الإنسان إلا ما كان لا يُستطاع

كلّفونا صيد السباع وأنا

كل شيء يجوز تكليفه

حتى عفا عنه^(٥).

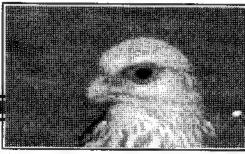
(١) نفس المصدر، ص ٥٢١.

(٢) كشاجم، مصدر سبق ذكره، ص ٥.

(٣) المنكلي، أنس الملا، ص ٦٩ وكذلك، الباشا، ص ٢٥٢ مصدرين سبق ذكرهما.

(٤) كشاجم، مصدر سبق ذكره، ص ٦.

(٥) كشاجم، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٤.



وبالرغم من ولع كثير من الخلفاء والامراء وبعض العلماء بالصيد والطرْد، ومحاكاة كثير من الناس لهم، إلا أن ذلك لم يمنع عامة الناس واصحاب المجد منهم أن يعبروا عن استيائهم من انهماك خلفائهم بالصيد، خاصة عندما كان ذلك يشغلهم عن تأدية واجباتهم ومتابعتهم لعظائم الامور في دولتهم.

ولم تكن الاندلس، وشمال افريقيا، ومصر والمغرب العربي، اقل اهتماماً بالصيد من المشرق الإسلامي، بل ربما كان السبق في هذا للمغرب العربي، كما يقول الدكتور التازي. وقد كان لاهل المغرب علم وخبرة في فن البيزرة بكل مايشتمل عليه من تقاليد وما يتبعه من أنواع العلاج والوسائل الطبية المستعملة لرعاية الصقور. وكان البيازون يؤلفون في جيش السلطان اسماعيل فرقة تصحب موكبه عند زيارته الرسمية للمدن، وقد سار السلاطين في المغرب على هذا النهج^(١).

وقد تخصصت بعض العائلات في فن البيزرة امثال اولاد فرج في زاوية القواسم الذين اعفاهم السلطان الحسن بن محمد بن عبدالرحمن من اداء الواجبات الرسمية المالية تعويضاً لهم عما كانوا يصرفونه من نفقات على تربية الصقور وكان ذلك عام ١٣٠٢ هـ - ١٨٨٥ م وقد سار السلاطين على هذا النهج في اعفاء القواسم منذ ذلك الوقت إلى اليوم^(٢).

وكان في بعض المدن احياء خاصة للبيازرة، ففي غرناطة حي للبيازين، «وفي القاهرة حارة شاطئ الخليج من شرقية فيما بين زقاق الكحل وباب القنطرة»^(٣) بالإضافة إلى عدة مدن مغربية عرفت احياء خاصة للبيازين لاهمية هذه الهواية في تلك المدن.

وبانكماش السلطان العربي، وانحدار الحضارة العربية اختفت تلك المعالم عن الصيد والطرْد إلا في بعض الاقطار العربية مثل بلدان الخليج العربي

(١) الدكتور عبدالهادي التازي، القنص بالصقر بين المشرق والمغرب، من منشورات المعهد الجامعي

للبحث العلمي، المغرب، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، ص ٤٠، ٤١.

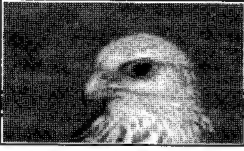
(٢) نفس المصدر، ص ٥٢، ٥٣.

(٣) خطط المقرئ، ٢٠/٢.

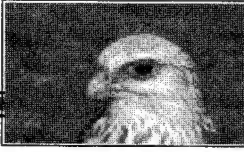


والمغرب العربي، وذلك بسبب كلفة الصيد، وندرته مما جعل هذه الهواية تنحصر في فئة محدودة من القادرين على ممارسة هذه الهواية من الامراء والاغنياء.

ولقد بدأت تنتعش هواية الصيد بالصقور بعد أن منعت أكثر الدول استعمال البنادق في الصيد، التي كادت أن تقضي على الثروة الحيوانية الفطرية في كثير من البلاد بل لقد تم ذلك بالفعل مما أدى إلى انقراض عدد من الحيوانات والطيور البرية في كثير من المناطق، ولولا قيام بعض الجهات الرسمية والشعبية في أكثر من بلد عربي واجنبي للمحافظة على الحيوانات النادرة لانقرضت نهائياً كما هو الحال بالنسبة للوضيحي (المها أو بقر الوحش) وكذلك الحبارى، وبعض الطباء وغيرها ممن سنأتي على ذكره لاحقاً.



اجتياز الربع الخالي



اكتشاف الربع الخالي

لعل من المناسب قبل الدخول في الحديث عن هذه الرحلة إلى الربع الخالي، أن نعطي فكرة عنه وعن المكتشفين السابقين الذين استطاعوا عبوره واكتشافه منذ سنوات.

يقع الربع الخالي في المنطقة الجنوبية الشرقية لشبه الجزيرة العربية، ويتصل بالخليج العربي شرقاً، والبحر العربي واليمن جنوباً، والمملكة العربية السعودية شمالاً وغرباً، وتبلغ مساحته الربع الخالي حوالي ٦٥٠ ألف كيلو متراً مربعاً.

ويطلق على الربع الخالي اسماء عديدة، فهو عند البدو (الرمال) و (صيهده) و (الاحقاف)، و (الدهناء) فالجزء الذي بين حضرموت وشرق اليمن يسمى (صيهدهاً) والذي بين شمال حضرموت وشرقيها يسمى (الاحقاف) والذي في شمال مهرة يسمى (الدهناء) ويسمى جميعه الآن (الربع الخالي) (١).

ولا تكاد توجد آبار مياه في الربع الخالي وهي أن وجدت فالمسافة بين البئر والآخر تبلغ أحياناً نحو اربعمئة ميل.

ويؤكد العلماء أن الربع الخالي كان منطقة عامرة بالخصب والحضارة وقد كان عامراً تغمره مياه الامطار والخصب من جهة الشرق إلى البحر الأحمر، وكانت تقطنه بعض القبائل مثل وبار والرس وغيرهما من الأمم البائدة التي لم تصلنا اخبارها إلا النادر الشاذ (٢) كما كانت تسكن الربع الخالي أيضاً قبيلة نبي الله هود وهي (عاد) التي اقامت مدينة زاهرة وردت في القرآن الكريم

(١) أحمد أمين، فجر الاسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الحادية عشرة ١٩٧٩م، ص ٢.

(٢) محمد بن علي الاكوع الحوالي، اليمن الخضراء مهد الحضارة، الطبعة الثانية، مكتبة الجيل الجديد، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص ٢٧.



« أرم ذات العماد * التي لم يخلق مثلها في البلاد » (١) كما ورد ذكرها أيضاً في كتب مؤرخي اليونان (٢) وقد وصفها الاخباريون بقولهم: كانت شوارعها من الذهب والفضة وقصورها العديدة مرصفة بالجواهر، وأنهارها جارية بالازقة على القنوات ليل نهار، وجناتها متدلية الاغصان فيها من كل فاكهة، ومآكلهم ومشاربهم من اطيب الطيبات.

وسكنت كذلك قبيلة (الرس) في فلاة صيهْد في الربع الخالي، وقيل أن فيها قصور هذه الامة وبُعْدُنْها الناس فيجدون فيها الذهب والفضة (٣).

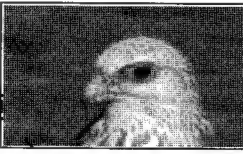
ويؤكد الرحالة عبدالله فيلبي - الذي اجتاز الربع الخالي عدة مرات - القول بأن الربع الخالي كان عامراً وخصباً وشاهد أدلة جيولوجية كافية للاستدلال أن بقاع الربع الخالي كانت حافلة بالخصب والعشب في عصور سحيقة وأنها كانت تصب اليه انهار واودية (مثل وادي الدواسر) وأصبحت هذه الأودية غاصة الماء جافة الهواء قاحلة كما هي اليوم.

وتوصلت اعمال التنقيب القليلة عن الآثار التي اجريت حتى الآن في المملكة العربية السعودية إلى أن الجزيرة العربية كانت تنعم قبل ٣٠ ألف سنة بمناخ أكثر رطوبة وبرودة من الآن وأن المناخ الذي يميز مناخ الجزيرة العربية اليوم حل عليها تدريجياً باستثناء فترة اتسم فيها المناخ بالرطوبة مابين الالف الخامسة والالف الرابعة قبل الميلاد ومن الثابت أنه في تاريخ لاحق لهذا الزمن كانت مستنقعات الملح التي نألفها اليوم في قفار الجزيرة هي في الاصل بحيرات من المياه العذبة تدب فيها الحياة وتقوم على ضفافها حضارات وتجمعات وقد عثر عند تلك الضفاف القديمة على ادوات صيد صنعها رجال ما قبل التاريخ ليأكلوا مما تجود به البحيرات من سمك.

(١) سورة الفجر آية ٧، ٨.

(٢) محمد بن علي الاكوع الحوالي، مصدر سابق، ص ٣٢٤.

(٣) نفس المصدر ص ٣٢٦.



ويقول الدكتور عبدالله المصري مدير الآثار في المملكة العربية السعودية وهو عالم متخصص في الآثار - ان الجزيرة العربية ظلت حتى الالف السابعة قبل الميلاد ارضاً خضراء تكسو بطاها المراعي المعشوشبة والبحيرات العذبة وقرح فيها الغزلان وحتى افراس البحر. وما يعرف اليوم بصحراء الربع الخالي كان في العصر الحجري مرتعاً للصيادين، ولما تغير الطقس وانحبست الامطار وجفت البحيرات هاجر الناس شمالاً طلباً للماء والغذاء إلى أن وصلوا إلى سواحل الخليج العربي التي تعرف اليوم باسم المنطقة الشرقية^(١).

ولذلك نستطيع أن نقول بدون تحفظ أن الربع الخالي الذي يعد اليوم من اشد الصحاري جفافاً في العالم يزخر إلى ما قبل عشرة آلاف عام بالحيوانات المختلفة مثل الغزال، وبقر الوحش، والاسد، والنمر، وفرس الماء وغيرها من الحيوانات التي تتواجد الآن في افريقيا وقد ظهر على النقوش التي عثر عليها علماء الآثار على صخور كثيرة للغاية في جميع أنحاء الجزيرة العربية والتي يرجع تاريخها إلى ثلاثة آلاف عام على صور حيوانات كانت تعيش في الجزيرة وانقرضت، مثل الثيران، والخنازير والاسود، وقد ورد في الشعر الجاهلي: ذكر كثير من الحيوانات والطيور التي كانت تعيش في جزيرة العرب مثل الاسد، والنمر، والذئب، والفهد، والنعام، وحمار الوحش، وبقر الوحش وغيرها.

(١) مجلة البraq، بيروت، عدد نومبر، ١٩٨٦م.



السابقة — ون

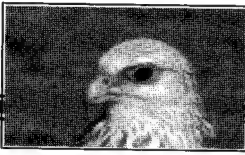
كان من أهم الوسائل التي استخدمها الاستعمار الغربي للسيطرة على العالم الإسلامي بصورة عامة والعالم الغربي بصورة خاصة تشكيل جمعيات ومؤسسات رصدت لها الاموال وزودت بالخبراء لاستكشاف المناطق المجهولة ومعرفة أحوالها الاجتماعية والاقتصادية والبيئية لوضع الخطط اللازمة لاستعمارها واستغلالها.

وبالرغم من قيام اعداد كبيرة من الرواد والمكتشفين برحلات في اماكن مختلفة من اصقاع العالم المجهولة بحثاً عن الحقيقة وحباً في الاكتشاف والمغامرة، إلا أن ما اصدروه من كتب وما كتبوه من تقارير كان ينير الطريق أمام الدول التي تبحث عن الثروة والمصالح المادية، وما كشف العالم الجديد في أواخر القرن الخامس عشر إلا ثمرة من ثمار هذه النفوس المغامرة.

ويعتبر الربع الخالي في الجزيرة العربية من الاماكن التي تطلع إلى اكتشافها عدد من المكتشفين سيما وأن هذه البقعة من الارض كانت مجهولة تماماً لمدة طويلة إلا أنهم كانوا يصرفون النظر عن هذه المغامرة بسبب صعوبة اجتياز الربع الخالي والمخاطر التي يترتب على أي محاولة. ولكن بعض المكتشفين تمكنوا أخيراً من اجتيازه وقاموا باخطار مايمكن أن يقوم به أي رحالة أو مكتشف في بقعة من بقات العالم. وقد عبّر عن ذلك الرحالة شارل روتي - وهو ابن قسيس عشق الكشف والمغامرة - فقال عام ١٨٧٦م «أنني لم أجد بين العرب احداً يستطيع أن يحدثني عن الربع الخالي ولو حديث خرافة.»

ومن أهم أولئك المكتشفين :

١- فون ريد عام ١٨٤٣م : ويعتبر أول أوروبي تحدث عن الرمال المتحركة في جنوبي الصحراء العربية، وقد زعم أنه عشر عام ١٨٤٣م على صحراء خطرة يسمونها (البحر الصافي) في الربع الخالي شمالي حضرموت إلا أن برترام



توماس اعتقد أن تلك هي صحراء أم السموم التي سيرد اسمها في هذا الكتاب.

٢- شارل دوتي سنة ١٨٧٦ م :

وقد قام برحلة في الجزيرة العربية عام ١٨٨٨م فاكتشف فيها بقاعاً لم تطأها قدم أوروبي من قبل وسجل رحلته في كتاب نشرة عام ١٨٨٨م وهو (رحلات في الصحراء العربية).

٣- ريتشارد بورتون سنة ١٨٧٧ م :

قام بورتون بمحاولة اكتشاف مناجم الذهب في أرض مدين في أولى جولاته الاستكشافية عام ١٨٧٧م والتي زارها سنت جون فيلبي^(١) بعد ذلك. وكان بورتون قد اكتشف بحيرة تنجانيقا، كما تخفى في زي مسلم هندي وذهب إلى الحج ليدرس المنطقة ويكتب عنها كتابة (الحج إلى المدينة ومكة)، عام ١٨٥٥م - ١٨٥٦م.

٤- د.ج. هوجرت سنة ١٩٠٥ م :

قام برحلة إلى المنطقة الجنوبية الشرقية من الجزيرة العربية وهي منطقة الربع الخالي ونشر كتابه عن تلك الاماكن التي زارها سماه (عبر بلاد العرب).

٥- ر.ي تشيزمان سنة ١٩٢٣ م :

ويعتبر أول أوروبي يزور واحة (جبرين) على الطرق الشمالي الاقصى من الربع الخالي.

٦- برترام توماس سنة ١٩٢٨م - ١٩٣١م :

يعتبر رائد المكتشفين للربع الخالي وألف كتاباً سماه (العربية السعيدة).

وقد ألف عدة كتب عن رحلاته في الجزيرة العربي من ١٩٢٨ - ١٩٣١م

(١) سنت جون فيلبي، احد مستشاري الملك عبدالعزيز بن سعود وقد اعلن اسلامه وأصبح اسمه عبدالله فيلبي وهو من رواد الربع الخالي وتوفي في مستشفى الجامعة الامريكية في بيروت عام



وأهمها عن رحلاته في الربع الخالي ويعتبر كتابه (العربية السعيدة) من أهمها وقد منح من أجل عمله هذا ميدالية الجمعية الملكية البريطانية، وميدالية الجمعية الآسيوية الملكية، وقد توفي توماس عام ١٩٥٠م.

٧- ولفريد ثيسيجر سنة ١٩٤٥م - ١٩٥٠م :

ويعتبر من اشهر الذين اجتازوا الربع الخالي، وقد قطعه أكثر من مرة ومن أكثر من جهة وقد قضى في كشفه هذا خمس سنوات انتهت عام ١٩٥٠م لم يغادر فيها المنطقة طيلة هذه السنوات الا فترة وجيزة، وقد سجل رحلته هذه في كتاب طبعه في أواخر عام ١٩٥٠م وسماه (الرمال العربية)، لأن البدو الذين يعيشون على اطراف الربع الخالي والذين رافقوه في رحلاته يسمونه (الرمال) ولا يعرفونه إلا بهذا الاسم، حتى أنهم لم يفهموا من ثيسيجر ما يعني عندما استعمل في حديثه معهم الاسم الشائع وهو (الربع الخالي).

وهنا لابد من الإشارة إلى أن ثيسيجر كان مكتشفاً ورحالة أكثر ممن سبقوه، كما وان كتابه المذكور يفيض حيوية وابداعاً يضعه فوق ما كتبه مواطنوه الانجليز عن الجزيرة العربية وقد اعترف بهذا فيلبي وقال بصراحة: أن الرحالين الانجليز الذين استهوتهم الجزيرة العربية قد توجوا بثيسجر الذي يعتبر بحق جبرهم جميعاً.

٨- عبدالله فيلبي ١٩١٧م - ١٩٥١م :

يعتبر عبدالله فيلبي من اشهر من عبروا الربع الخالي وكتبوا عنه كتابات مفصلة، وكان فيلبي قد وصل إلى الجزيرة العربية عام ١٩١٧م، وقام باجتياز الربع الخالي من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب بعد برترام توماس عام ١٩٣٢م.

وقد قام عبدالله فيلبي برحلة إلى الربع الخالي على رأس بعثة سعودية زار خلالها حضورموت وبيحان وماجاورهما من البلاد، كما قام فيلبي مع الامريكي ر.ج. بوغو وهو من موظفي النقطة الرابعة الامريكية في جدة وهو عالم



جيولوجي ذو خبرة واسعة وشهرة عريضة، بزيارة (مدين) وكتب عنها تقريراً يشير فيه إلى وجود معادن في تلك المنطقة خاصة الحديد والكبريت.

وقد كتب فيلبي كتاباً عن رحلة إلى الربع الخالي يعتبر من أكثر الكتب التي وصفت معالم الربع الخالي وما يحتويه من نبات وحيوان ومعادن وغير ذلك وسماه (الربع الخالي).

هذا وقد زار الربع الخالي في أوائل الخمسينات عدد من الغربيين منهم ولفرد نيتفورد، والالمانى هانز هلفروس الذي زار (شبوه) وفان درمولين وفون ديسمان اللذان زارا عدن، وفريه ستارك ودورين انغرام، اللذان زارا حضرموت.

ولعل آخر كتاب صدر عن الربع الخالي هو كتابنا هذا المتواضع الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٩٦٥م.



القافلة

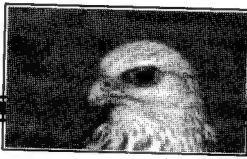
بالرغم من أنني استطعت أن اتعرف على شبه جزيرة قطر جزءاً جزءاً وقرية قرية وتجولت في صحراء قطر والسعودية عدة مرات، إلا أنني كنت أتمنى بعد تسع سنوات قضيتها في قطر أن تتاح لي الفرصة للذهاب إلى الربع الخالي ذلك الجزء المجهول من الوطن العربي بل من الكرة الأرضية كلها.

ولذلك ما كدت اسمع عن اعتزام الشيخ قاسم بن حمد الثاني الذهاب في رحلة إلى هناك، حتى وجدت أن الفرصة قد حانت لمرافقته. وفعلاً قمت برحلة إلى لربع الخالي.

لم تكن القافلة هذه المرة عدداً من جمال يتبع بعضها بعضاً تحمل الزاد والماء يقودها البدو ومعهم أجنيب أبيض غريب عنهم، دفعه حب المغامرة ليكتشف جزءاً من الصحراء العربية، وإنما كانت قافلتنا عبارة عن مجموعة من سيارات معدة لاختراق الصحراء وصعود الكثبان الرملية العالية علو الجبال، وعليها البدو السمر الذين لفحت شمس الصحراء وجوههم واكسبت اجسامهم قوة ونفوسهم نقاء كنقاء رمالها.

وأذا كان البدو يعتبرون أمير الرحلة (الشيخ قاسم بن حمد آل ثاني) قادراً على تحمل الصعاب في الصحراء بحكم طبيعته وحياته العربية فقد كنت الوحيد بينهم الذي لم يكن جديراً بحمل لقب بدوي بعد، لأن ذلك يحتاج إلى امتحان شاق أقله النجاح في هذه الرحلة والصبر على مشاق الصحراء وتحمل الشدة فيها من حر وبرد ومصاعب دون شكوى أو تضجر.

لقد كانت هذه الرحلة تجربة لي، ومع أنني كنت قد عشت مع البدو فترة قصيرة في شرق الأردن، وتحملت المشاق في صعود الجبال وحياة المعسكرات الكشفية إلا أن انقطاعي عن هذه الحياة ما يزيد عن عشر سنوات جعلني أخشى الفشل في الصمود في هذه الرحلة الخطيرة، خاصة أمام البدو الذين يقيسون



رجولة الشخص بمقدار ما يستطيع تحمله من مشاق في الصحراء.

أن القافلة بكل استعداداتها اشبه ما تكون بحملة عسكرية، فتحضير السيارات يعتبر سرّاً من الاسرار يقتصر على المجموعة التي سترافق الامير، ولا يجوز التحدث عن وقت الخروج، أو ذكر اتجاه السير، أو المكان المتوجهين إليه، وذلك لاسباب كثيرة أهمها أن لا يعرف أحد مكان الصيد الذي امضى عدد كثير من البدو اياماً واسابيع في الصحراء للتفتيش على اثر له أو لسماع أي خبر من البدو الضارين في الصحراء عن وجوده أو رؤية شيء منه، إذ يعتبر هذه المعلومات ذات قيمة مادية ومعنوية.

ولذلك كان لابد من تحضير البترول اللازم زاد على تسعين برميلاً كبيراً أي حوالي ٥ آلاف جالون ومثلها من الماء، والزاد الكافي لاربعين رجلاً ذهاباً واياباً لمدة لا تقل عن شهر تقريباً، وكذلك السلاح والعتاد والحبال وقطع غيار السيارات وعدة الميكانيكي وأدوات الطبخ وغير ذلك مما يلزم لمثل هذه الرحلة وما يصعب حصره أو تذكره.

وقد استغرقنا في اعداد لوازم الرحلة واعداد متطلباتها، مراعين كل تحسب ممكن، ومعدّين لكل طارئ محتمل، حتى منتصف ليلة الجمعة ٥ شباط ١٩٦٥م.



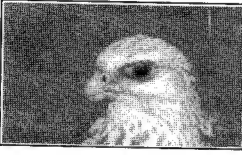
الإنطلاقة

غادرنا الدوحة (شاطيء الخليج العربي) بسيارة (نيسان جيب) يقودها الأمير نفسه ومعه ابنه «عبدالعزیز» الذي لم يتجاوز عمره تسعة أعوام. وكذلك ابنه الكبير «حمد» وانطلقت خلفنا سيارة «بوريجن» وأخرى فيها أولاد الأمير وبعض المرافقين، واتجهنا للجنوب فمررنا بقرية الكرعانة ثم مررنا بمركز سلوى (*) وهو المكان الذي بدأ منه عبدالله فيلبي رحلته التي مر فيها بأطراف الربع الخالي الشمالية سنة ١٩٣٢م. وكنا نسير على اثر من سبقنا من سيارات القافلة والتي كانت عبارة عن ٣ سيارات «بوريجن» كبيرة محملة بالبترول والماء، وسيارتي «بوريجن» متوسطة، وسيارتي «جيب نيسان» و ٣ سيارات «بك أب»، وجميعها من النوع الذي يستطيع عبور الرمال التي يستحيل على السيارات العادية عبورها.

وبعد أن سرنا أربع ساعات متواصلة نزلنا فوق كثيب رملي وأقمنا فوقه عدة ساعات واصلنا السير بعدها بهمة ونشاط فمررنا «بعقلة المناصير» و «سودانثيل» و «موية خضراء» و «الكري» والأخيرة عين ماء مالح لا يصلح للشرب. ثم أدركنا القافة ونزلت في «القعايد» وهي عبارة عن سهل فسيح يحيطه من الغرب تلال رملية وفيها عين ماء مالحة أيضاً يستعملها البدو أحياناً لسقي ابلهم.

أقمنا في (القعايد) طيلة النهار تبعته ليلة أخرى وذلك بعد أن إكتشف خلل في إحدى السيارات مما إستدعى إرسال سيارة للدوحة لإحضار بعض قطع الغيار، وقد عادت هذه السيارة في منتصف الليل فبوشر في إصلاح المعطلة فوراً ولكن لم يتم إصلاحها حتى اليوم التالي.

(*) مركز للشرطة على الحدود بين قطر والمملكة العربية السعودية على الخليج العربي.



البحايص

منطقة صحراوية تنتشر فيها السباح الخطرة التي قد تبتلع من يدوس عليها
بعد نزول الشتاء، ولذلك تسمى (البواليع)



غادرنا القعايد متجهين صوب الجنوب، وبعد عدة ساعات مررنا (بالمنايف) ثم (البحايص) التي تنتشر فيها السباح الخطرة، التي تشبه البسط المفروشة الممتدة هنا وهناك.

والسباح عبارة عن أرض سهلية منبسطة، سوداء اللون تغطيها طبقة خفيفة من الأملاح التي تكسبها بريقاً أبيض عندما ينعكس عليها ضوء الشمس، وتتكون تربتها من رمال خفيفة ناعمة مختلطة بنسبة كبيرة من الأملاح. وغالباً ما تكون السباح في أرض رطبة فوق مياه مالحة، ولذلك يصعب على السيارات إختراقها خوفاً من أن تغوص عجلاتها في الطين فيصعب إخراجها.

وبعض تلك السباح خطر للغاية، بحيث لا يستطيع الإنسان أو الحيوان إختراقها وذلك بسبب لين تربتها، وقد روى البدو أنه كثيراً ما كانت جمالهم تدوس فيها وتتوغل ثم تغوص أقدامها في السبخة حتى البطن فيبذلون جهوداً جبارة لإنقاذها منها وأحياناً يفشلون فتغوص الجمال وتبتلعها الأرض ومن هنا جاءت تسمية البدو لها بالبواليع.

ثم واصلنا السير فوصلنا «جوز أبو صلعة»(*) وهو عبارة عن تل رملي فيه أشجار كثيرة يستعان بها في إشعال النار للطهي وعمل القهوة والشاي.

إسترحنا هناك حتى العصر، فشربنا القهوة والشاي ثم تناولنا طعام الغداء، وكان الجو رائعاً فالشمس ترسل إشعتها الدافئة فتبدد برودة الشتاء والهواء المنعش يهب برفق وحنان، مما شجعنا أن نقوم برحلة للصيد في نفس المنطقة في سيارة جيب نفتش عن الحباري.

كان معنا (شاهين) وهو من الطيور الجارحة المدربة على الصيد، وبعض بنادق الصيد ورافقنا عدد من البدو الذين يتقنون إقتفاء الأثر. أخذنا نتجول

(*) الجوز : تل مرتفع من الرمل عليه أشجار كثيفة يتخذه البدو لهم منزلاً.



بالسيارة مايزيد على ثلاث ساعات فلم نعثر على أي أثر لطائر أو حيوان غير ذلك (الورل) الذي يشبه الحرباء بذيله الطويل المعقد الذي يستعمله كالسوط ضد خصمه.

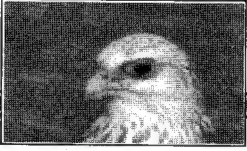
وقفنا عند الورل لحظات سمعت خلالها تعليقات البدو عليه، فهم يعتبرونه (جنياً) لايجوز قتله أو مسكه، والبدو يعتقدون بأن الجن تتشكل بأشكال بعض الحيوانات. ويقال بأن لهذا الحيوان أسناناً حادة يستعملها في إمساك ثدي الماعز إذا مرت بالقرب منه فيقفز عليها ولا يتركها وهو يمتص الحليب منها حتى يقص ثديها.

تركنا هذا الحيوان «الجنى»! وواصلنا السير للتفتيش على أثر للحباري وكدنا نعود بخفي حنين، لولا أن أحد البدو استطاع أن يرى والسيارة مسرعة أثراً لكروان (وهو طائر يقول العرب بأنه ابن أخت الحباري)! فنزل وإقتفى أثره حتى وجد عدداً منه، إطلاق عليها النار فقتل واحداً وبينما كنا نهم باللاحاق بما تبقى وجد أثراً جديداً للحباري يدل على أنها مرت لتوها.

ركبنا السيارة وسرنا خلف البدوي وهو يركض مقتفياً أثرها مايزيد على ساعتين بدون كلل أو ملل في حين أنه كان يحمل الصقر على يده، وقبل غروب الشمس بدقائق أخذ الطائر يحرك جناحيه بشدة، وإذا بطائرين من الحباري يطيران من مسافة بعيدة ويبدو أنهما كانا قد أحسا بنا وسارا بسرعة مشياً بين النباتات الصحراوية التي لم تمكنا من رؤيتهما إلا بعد ساعتين ونصف من السير خلفهما.

أزاح البدوي الغطاء عن وجه الصقر، فما كاد يرى النور حتى قفز من فوق يد حامله وطار بسرعة فائقة وراء الحبارتين، وما هي إلا لحظات حتى كان في صراع معهما ونحن وراءه في السيارة الجيب بسرعة جنونية، لنتمكن من اللحاق به في الوقت المناسب، خوفاً من ضياعه هو والفريسة وكان كل منا يصفق ويصيح من الفرح.

وقد كدنا نقرب من الصقر الذي حلق فوق الحبارتين اللتين أخفتا تحت



نباتات الصحراء خوفاً من الشاهين، حتى رأيناه ينقض على واحدة منهما ويربض فوقها بينما تبعنا نحن الأخرى وأطلقنا عليها النار فإصطدناها، ورجعنا سالمين قانصين، تسمع أغانيها البدوية من مسافات بعيدة على رجوعنا ومعنا صيدنا ولو لم نصطد شيئاً لرجعنا «للعنة» (*) - مكسوفين متسللين بهدوء!.

ولعل من حسن حظنا أن لم تنزل الأمطار على هذه المنطقة (البحايص) إذ على مسافة قريبة منها يعترض طريقنا عدد من السباخ التي يصعب على أحد اجتيازها بسبب ليونة أرضها ولزوجتها خاصة بعد نزول المطر عليها.

وتسمى هذه السباخ المنايف لقربها من سلسلة جبال رملية متباعدة ومرتفعة تشرف على سهول متسعة، تسمى المنايف وعلى مقربة منها تقع «سبخة مطي» المشهورة التي تبعد حوالي ١٥٠ ميلاً جنوبي قطر وحوالي ٦٠ ميلاً إلى الشرق من بئر (ضبي) الذي يقع بين قطر وأبي ظبي.

وقد كتب ولفريد ثيسغر في كتابه «رمال العرب» عن هذه السبخة فقال:

«في اليوم التالي وصلنا سبخة «مطي» فقررنا أن نقوم بدوره حولها ونعبر هذه السهول اللزجة ولا غرقت الجمال وليس من أمل في إنقاذها وعلى الأخص بعد المطر الحديث الغزير»..

أمضينا ليلة هنيئة في العنة. ومشينا في الصباح بسيارة جيب مع ابن الأمير للصيد، فصادفنا أرنباً صغيراً، حاولنا أمسكه ولكنه برغم صغره، أتعبنا جميعاً ونحن نركض وراءه، ولم يكن إمساكه بالسهولة التي تصورناها. وبعد أن أمسكنا به واصلنا سيرنا فنزلنا في مكان فيه كثير من الشجر، جهزنا فيه أكلنا وتناولنا طعام الغذاء ثم إضطررنا أن نعود (للعنة) مسرعين بعد أن بدأت الرياح تهب علينا بشكل مزعج لم نتمكن فيها من رؤية أي أثر للصيد إذ ليس من السهل أن نعثر على طير أو حيوان بدون تتبع أثره، والرياح تمحو كل أثر على الرمال.

(*) العنة : المكان الذي ينزل فيه العرب في الصحراء..



الرمال المتحركة

«إن العواصف القوية تظمر ما ترم عليه من أشجار أو حيوانات بل وتظمر
أحياناً قافلة بأكملها بما فيها من إنسان وجمال»





هبوب العاصفة

وفي الليل بينما نحن جالسين نتحدث في مواضيع شتى، وإذا بصوت الرياح ينذر بهبوب عاصفة رملية، فتحول الهواء فجأة من لطيف إلى بارد، ومن هادئ إلى عاصف، ومن نظيف إلى رملي.. ولم يكن معنا شيء من الخيام فإضطررنا أن نضع السيارات خلفنا لئلا تمنع عنا الرياح الشمالية ولكن ذلك لم يغن شيئاً، فكانت ليلة لانحسد عليها لبردها الصحراوي القارص، الذي كنا نقرأ عنه في الكتب، وكثرة رملها الذي غطانا بطبقة سميكة والذي أضاف إلى طعامنا ومائنا عنصراً جديداً غير مرغوب فيه.

وأصبحنا في الصباح نتقلب على الرمال وتلفحنا الرياح تاركة في أعيننا وآذاننا من الرمل ما لم نعد بعده بحاجة إلى مزيد.

أشرقت الشمس في اليوم التالي، وكانت الغبار والعواصف تحجب الأفق فإنزويت في إحدى السيارات، وأفقلت الأبواب والزجاج فلم يمنع ذلك الرمل من أن يدخل على بطرقه الخاصة.

ومع ذلك فكان لا بد لي من أن أبقى مكاني في السيارة لأن بقائي فيها أسلم بكثير من الوقوف في وجه الرياح العاتية التي ملأت الجو غباراً حجب كل رؤيا.

تذكرت في تلك اللحظة كل ماسمعتة وقرأته عن الرمال المتحركة في الصحراء وتنقلاتها. لقد كان يخيل إلي أن التل كله يتحرك، فكنت أرى طبقة من الرمال لا يقل إرتفاعها عن عشر سنتيمترات تزحف من فوق ذلك التل لتستقر أمامه.

لم نستطيع عمل الشاي أو القهوة أو إشعال النار حتى من الله علينا بفترة هدأت فيها الرياح بعض الشيء، مما شجعنا على تجهيز السيارات التي ستعيد أولاد الأمير للدوحة، وقد كانت فرصة لي للعودة إلى الدوحة إلا رغبتني في



التعرف على الربع الخالي الذي لم ندخل أطرافه بعد، كانت أقوى من أن تؤثر فيها تلك العاصفة ببردها ورمْلِها الذي كان يدخل في الطعام بنسبة كبيرة حتي يخيل للمرء أحياناً أنه يأكل رملاً معه بعض الرز واللحم.

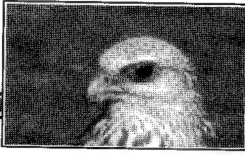
وبالرغم من تلك الرياح العاصفة، والرمال الخانقة التي تملأ الأجواء، فإن البدو يعتبرون ذلك شيئاً طبيعياً جداً ولذلك كانوا يطلقون على تلك العاصفة (هبوباً)، لأن العاصفة عندهم شيء أكبر بكثير من الهبوب. و يقولون أن العاصفة القوية تطمر ما ترم عليه من أشجار أو حيوانات بل وتطمر أحياناً قافلة بأكملها بما فيها من إنسان وجمال.

أخذ أحدهم يحدثني بإسهاب عن العواصف في الربع الخال، وعن خطورتها، وكيف يتحول الجو كله إلى رمال خانقة، يصعب على البدو المقيمين في الربع الخالي أحياناً تحملها.

عرفت عندها حقيقة الرمال المتحركة، التي كنا نقرأ عنها ونسمع. ولقد حدثني أحدهم ممن يسكنون الربع الخالي، أنهم يتعودون على هذه الرياح وعلى جميع مصاعب الصحراء من حر وبر وجوع وعطش.

وأقسم لي أنه هو نفسه قد مر عليه مع أهله في أواسط الربع الخالي (حيث سنمر بعد أيام) أربعة أعوام دون أن يشرب ماءً أو يأكل طعاماً إلا ما يصطاده من الصحراء من حيوانات وما يشربه من حليب النوق. متحملاً عواصف أشد وأقسى من هذا الهبوب...!!!

وروى لي قصة ولده الصغير الذي أعطاه أحد القادمين من (البلاد) كمية من التمر، فما كان من الولد إلا أن رماها في النار ليشويها، لأنه لا يعرف شيئاً يؤكل إلا بعد شويه في النار كاللحم الذي لا يعرف أكلاً سواه. فالبدو يعتمدون اعتماداً كلياً في حياتهم على تلك البقعة من الأرض (الربع الخال) على حليب النوق، فهو مأوئهم وشايهم وقهوتهم، كما ويعتمدون كذلك على لحم ما يصطادون من الحيوانات البرية. ولحوم حيواناتهم عند الحاجة.



وسألت ذلك البدوي عن تحرك الرمال في الربع الخالي فقال:

«أن الكثبان الرملية تتحرك ولا شك ولكن ببطء شديد لا يزيد على عشرة أمتار أو خمسة عشر متراً في العام، وذلك نتيجة للهبوب والعواصف».

فسأله وكيف استطعت معرفة ذلك؟ فقال :

«لقد جربت بنفسي: حفرت عند مقدمة «طعس» تل رملي كبير، حفرة عميقة وثبت فيها خشبة ظاهرة من الأرض وتركتها وعدت إليها في السنة التالية، فوجدت أن التل الرملي قد إنتقل من مكانه وابتعد مسافة خمسة عشر متراً».

قدّرت ذكاء البدوي في طريقة قياس تحرك الرمال، وهو حين يقوم بهذا العمل فإنما يقوم به للتعرف على ما حوله من الطبيعة التي يعيش فيها.

وتعتبر قبيلة (المرّة) او (بني مرّة) من اشهر قصاصي الاثر، وهم الذين قادوا عبد الله فيلبي عبر الربع الخالي، كما وان النسبة الكبرى من عدد مرافقينا في هذه الرحلة كان منهم.



إقتفاء الأثر

البدو خبراء في إقتفاء الأثر إلى درجة مدهشة فهم يعرفون الرجل من المرأة من أثر القدم، بل ويعرفون المرأة الشيب من البكر والحامل من غيرها.

ويعتمد البدوي على الأثر في تحركاته ومعرفة طريقه والتعرف على إبله، وعشيرته. فقد خطر لي أن أسأل عن الطريقة التي يستطيع البدو فيها معرفة الأثر في يوم عاصف كالיום السابق الذي تمحو فيه الرياح كل أثر مهما كان واضحاً بما في ذلك أثر السيارات.

وإغتنتم فرصة جلوسي مع مجموعة من البدو وسألتهم كيف يقتفون الأثر في يوم مثل ذلك اليوم الذي لا يظهر فيه علي الأرض أي أثر.. فقالوا جميعاً بالنظر إلى الشمس فنحدد الشرق والغرب والشمال والجنوب، وسمع الأمير سؤالي وقال لي:

«ليس من الصعب يارفيق أن تعرف الطريق في مثل هذا اليوم، ولكن من الصعوبة أن تعرف طريقك إذا كنت في الليل».

فقاطعته وقلت: بالنظر إلى النجوم.

وحسبت نفسي أنني أجبت إجابة خبير.

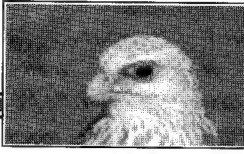
فقال لي: على مهلك!! وإذا كانت السماء غائمة ولا تستطيع رؤية النجوم؟، والرياح عاصفة كهذا اليوم؟.

«الشمس غائبة؟! والنجوم محجوبة بالغيوم؟! والرياح تمحو الأثر؟! والله ياطويل العمر ما يعلمها إلا الله».

فضحك الجميع وكادوا ينسون الإجابة.

فقلت هلا أعلمتموني كيف تعرفون الأثر في مثل هذه الحالة؟.

وكم كانت دهشتي عندما علمت أنهم يفتشون على نبتة صغيرة في الأرض



فينظرون إلى أي جهة تتجمع الرمال حول النبتة ويحددون عندئذ الشمال من ثم الجنوب والشرق والغرب ويعرفون إتجاههم. إذ تتجمع الرمال حول النبتة إلى جهة الجنوب دائماً بسبب هبوب الرياح الشمالية.

ومن الغريب جداً أن تعلم -أيها القارئ العزيز- أن البدو عندهم المقدرة لمعرفة الشخص من أثر قدمه على الأرض إذا سبق لهم وأن رأوها مرة واحدة منذ سنوات «تماماً كمن يقرأ كلمات متراسة في صفحة كتاب» كما وأنهم يعرفون جمالهم من آثار أقدامها، بل يؤكد البدو أن هناك من الخبراء في الأثر من يستطيع معرفة لون الجمل! وكلهم يفرق بين أثر الناقة وأثر الجمل، بل ويعرفون الناقة الحامل من غيرها، لقد رأيتهم بعيني يفرقون أثر المها الأنثى الحامل من غيرها عندما وصلنا جدة الحراسيس منطقة الصيد كما سيأتي.

ولقد روى لي أحدهم قصة ذلك البدوي الذي سرقت ناقته وهي حامل، ولم يعثر عليها إلا بعد سنوات عندما رأى آثار ابنها المولود على الأرض فتابعه حتى عرف أن صاحبها قد اشتراها من شخص آخر تبين فيما بعد أنه هو السارق.

وقد روى تيسيجر⁽¹⁾ كيف يستطيع البدو أن يتعرفوا على آثار كل جمل رأوه تقريباً: فمن نظرة وحيدة إلى عمق آثار قدم الجمل يعرفون إن كان طليقاً أو مركوباً أو محملاً. من إستقصاء الآثار يدركون الجهة التي أتى منها الجمل. فلجمال الصحراء مثلاً كعوب ناعمة في أقدامها يدل عليها جلد مسلوخ بال. بينما الجمال التي تأتي من سهول ذات حصى تكوت أقدامها مصقولة ناعمة. كما أن البدو يستطيعون معرفة القبيلة التي ينتمي إليها الجمل. فلكل قبيلة نوع من الجمال يختلف عن نوع غيرها. وهم يستنتجون مكان رعي الجمل من روثه، ويعرفون متى شرب آخر مرة وأي، وهم على علم تام بمجريات الأمور في

(1) Thesiger Wilfred, Arabian Sands, London Book Club Associates 1971.



الصحراء، فيعرفون علاقات القبائل بعضها ببعض وما يقوم بينها من تحالف أو عدااء. ويستطيعون عن طريق الحدس والتخمين معرفة موعد هجوم قبيلة على أخرى. البدوي وسيلة إخبارية ناجحة إذا ما إلتقى بغيره، بل أحياناً يسافر خارج موطنه للحصول على أخبار جديدة.



جوز السنام وأقواس النصر

«بدأنا الدخول إلى الربيع الخالي من خلال بعض الأشجار التي كانت مغروسة من طرفيها (قمتها وجذورها) بينما ترتفع من الوسط عدة أمتار وكأنها أقواس نصر صنعتها يد الله لاستقبال الداخلين إلى الربيع الخالي...»

غادرنا (جوز أبوصلعة) إلى (جوز السنام) الذي وصلناه بعد مسيرة نهار كامل. فأقمنا فيه واسترحنا وأمضينا ليلة هادئة قليلة الغبار والبرد، وكانت الرياح قد هدأت وأطلقت سراحنا.

وفي صباح اليوم التالي واصلنا السير باتجاه ماء (أبو قرون) وقد بدأنا نسير في أرض ترتفع فيها الرمال متخذة شكل سلاسل الجبال المتوسطة العلو. وصادفنا في طريقنا كثيراً من الرياض التي تنبت فيها الأعشاب والأشجار الصحراوية، مثل الغضا والحيد والهرم والشنان وقليل من النباتات ذات الأزهار الجميلة والرائحة الطيبة، وبعض الأشجار الأخرى التي كانت مغروسة في الأرض من طرفيها (قمتها وجذورها) اللذين يبعد الواحد منهما عن الآخر عدة أمتار، بينما ترتفع الأشجار من الوسط وكأنها أقواس نصر صنعتها يد الله لاستقبال الداخلين إلى الربيع الخالي.

وفي طريقنا هذا الطويل مررنا بعدد من الآبار ذات الماء الحلو مثل «قلمة الكرى» و «قلمة أم ظعون» و «قلمة ثريا» و «قلمة عذبة» والماء العذب يندر وجوده في الصحراء إذ أن ماء أكثر الآبار التي سنستقبلها مالح مر المذاق وقلما تصادفنا بئر من الآبار العذبة.

سرعان ما تتحول هذه الأراضي الرملية الواسعة إلى رياض خضراء إذا ما نزل عليها المطر، فتنبت العشب وأنواع الأشجار التي سبق ذكرها تصبح مراعي جيدة للجمال، يؤمها البدو المنتشرون في هذه المنطقة، وتكثر فيها الحيوانات البرية مثل الأرانب والغزلان والطيور كالحباري والكروان.

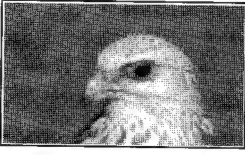


ومع أننا لم نكن نستطيع التجوال للصيد في هذه الأمكنة حرصاً على وصول أماكن صيد المها التي مازالت تبعد عنا أكثر من ٥٠٠ ميل إلا أن ذلك لم يمنعنا من أن نمر على أي قطيع من الجمال يصادفنا في الطريق لنشتري منه «حوارا» جملاً صغيراً، ندفع أضعاف ثمنه لأولئك البدو الذين يعتمدون في معيشتهم على هذه الجمال، يأكلون لحمها ويشربون لبنها، وقد يمر عليهم عدة أشهر بدون شرب الماء معتمدين على لبن نوقهم. كما لا يدخلون المدن لشراء حاجاتهم إلا مرة أو مرتين في العام، بعكس سكان الربع الخالي الذين قد لاتتاح لهم الفرصة لدخول المدن مطلقاً.

وبعد التوجه لجوز السنام بدأنا ندخل في منطقة رملية فيها بعض التلال تسمى (المحاكيك) ومن هنا إنطلقنا إلى أرض متسعة فيها تلال غير مرتفعة عن الأرض سطحها (كالطاسة المقلوبة) كالقباب إلا أنها مسطحة بحيث تستمر السيارة في السير عليها عدة دقائق، وقد سميت هذه المنطقة (الوسعة) لإتساعها.

وبعد ذلك واجهتنا رمال عالية تحجب الأفق وقد وقف الجمع أمامها مشدوهين في حين أخذ الدليل يحاول بالسيارة (النيسان) أن يجد طريقاً للصعود إليها وإكتشاف طريق لباقي السيارات الكبيرة ولكن مجاولاته كلها ذهبت هباءً، مما إضطرننا أن نسير بمحاذاتها مدة ساعة من الزمن حتى تمكن الدليل من الصعود على تل من تلالها، ومن فوق قمته أخذ يعطي الإشارة بالصعود وراءه.

وهنا إنتابني شيء من القلق والخوف على السيارات الكبيرة ذات الحمولة الثقيلة، ولكن البدو (اخوان شما) ما كادوا يرون إشارة الدليل حتى إنطلقت أناشيدهم البدوية كعادتهم، وصعدوا بسياراتهم تلك الرمال غير عابئين بخطر، فلقد تعودوا أن يقهروها بثقة وإعتزاز. وقد كنت أميل مع السيارة وأعصابي تتوتر كلما رأيت السيارات قميل وهي تكاد تنزلق إلى الوادي العميق.



وتتقارب رؤوس هذه الجبال الرملية حتى تبدو كالمنشار، ولذلك يسميها البدو (المنشار).

اجتازت سياراتنا الجبال وكم كان سروري عظيماً عندما التقطت لها بعض الصور السينمائية والتي كان من الصعب جداً أخذها من مكان مناسب يبين علو الرمال وخطورة المرور فوقها، ولقد كان سروري أشد عندما نجح التصوير العادي والسينمائي لكل مشهد من مشاهد هذه الرحلة.

تخلصنا من تلك الجبال لنصل إلى سهل رملي فسيح سرنا فيه مسافة قصيرة، وكم كانت دهشتي عندما رأيت سلسلة جبال رملية أخرى تقف سداً منيعاً مرتفعاً، ولكننا لم نعد نهتم بمثل هذه الجبال فظللنا نصعد وننزل حتى أصبحت مثلهم لأبالي بالرمال، صعبها وسهلها، عاليها ومنخفضها، فكم مرة (غرست) السيارة في الرمل الناعم وسحبت منه سحباً بواسطة السيارات الكبيرة، وكانت عملية سحبها رغم ما تحتاجه من تعب وجهد، عملية ممتعة وفرصة للتسلية والمزاح بين البدو الذين إذا سمعوا من ينادي (وين راحوا أخوان شما...) رأيتهم يقفزون ويتجهون ركضاً إلى المنادي للمساعدة في أي عمل فالبدوي لا يعرف الكسل، وحياتهم حياة جماعية بسيطة غير معقدة، تعتمد على التعاون الكامل والرجولة الخالصة.



الكرسوع

يبلغ طول منطقة الكرسوع حوالي ٥٠ كلم وعرضها حوالي ٢٠ كلم وهي ذات سهول تحيطها السلاسل الجبلية الرملية وقد سميت بالكرسوع لأن المياه متوفرة فيها بحيث يمكن لأي إنسان أن يحفر في الأرض حتى الكرسوع (منتصف الذراع) ليخرج الماء ولكنه مع الأسف ماء مالح، لا يصلح إلا لسقاية الإبل، وقد يضطر البدو لشربه أحياناً.

ويوجد في هذا (الكرسوع) عدد كبير من الغزلان والأرانب وبعض الحيوانات الضارة مثل (حية الدفن) التي تدفن نفسها في الرمال فإذا ما وطأتها أقدام إنسان أو بغير لدغته لدغة مميتة، وطولها لا يزيد عن ٢٥ سم.

وكذلك توجد حية (أبو صيحة) نسبة إلى صيحتها المعروفة عند البدو.

وأخطر الحيات هناك (الهام) وهو ثعبان يقف على ذيله فإذا ما رأى إنساناً أو حيواناً إتقى بشجرة إلى أن يقترب منه ثم ينقض عليه كلسهم ليمسك بلحمه ويفرغ فيه كمية من السم القاتل، ويسمى هذا الثعبان كذلك (السهم) لأنه ينطلق كالسهم ولا تؤثر فيه العصا ولذلك يقتله البدو غالباً ببندق الصيد.

ومع أننا لم نر من هذه الحيات عدداً كبيراً، ولم تؤذ أحداً منا طوال الرحلة، إلا أن ذلك لم يمنع حية من السعي إلينا ونحن نيام، في جدة الحراسيس -منطقة هجمة- لتزورنا، فمرت عن فراش الأمير وعن فراشي وربما جلست فيه مدة من الزمن وأنا نائم ثم سارت على بعض أخوان شما تتعرف عليهم واحداً واحداً ثم انسحبت مشكورة إلى جحر أرنب.

عرفنا هذا عندما استيقظنا في الصباح، ورأيت بعض البدو يقولون لي الحمد لله على السلامة!!

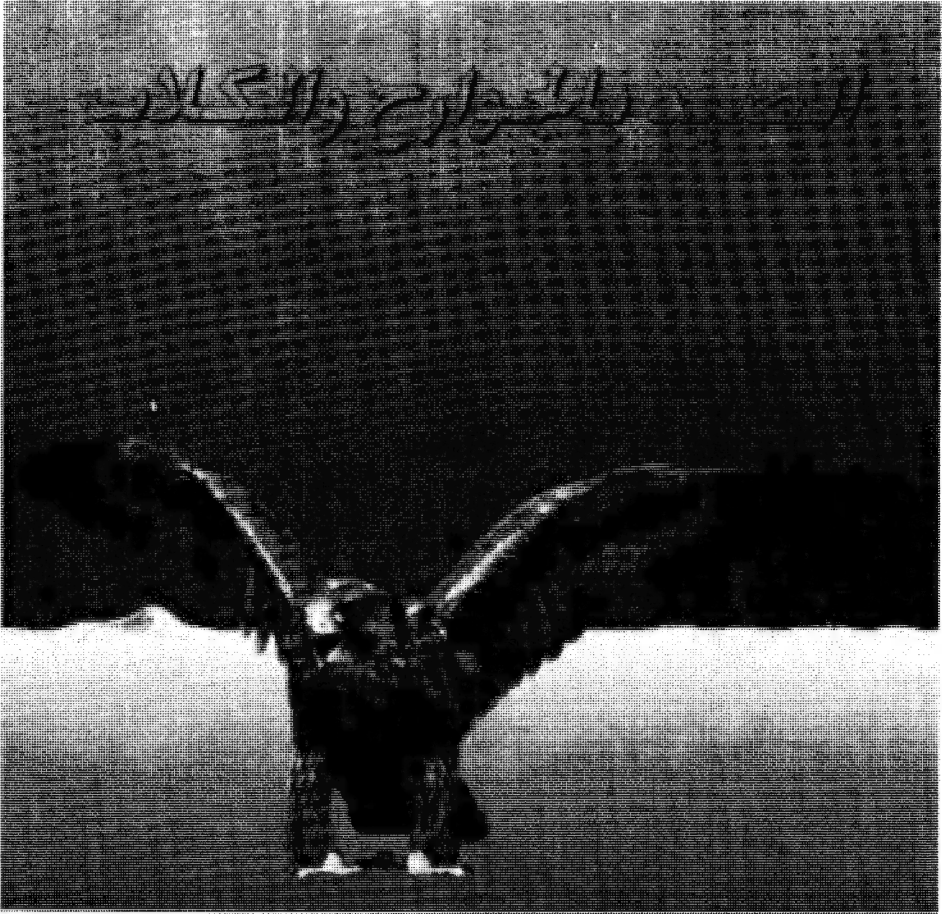
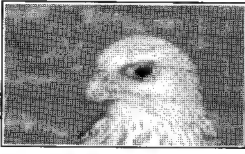


فاستغربت وقلت: خير أن شاء الله؟

قالوا: لقد مرت الحية من عند رأسك الليلة وأنت نائم فسألتهم: وكيف
عرفتم ذلك؟

قالوا: هذا هو أثرها هيا معنا نقتلها.

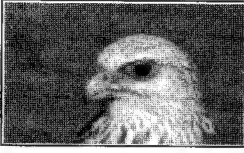
فتتبعوا أثرها وأخرجوها من جحر الأرنب فشكرت الله وشكرت للحية
المؤدبة حسن خلقها إذ سمحت لنا بمتابعة الرحلة.



قال تعالى: (يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات، وما علّمتم من الجوارح مكلّبين تعلمونهن مما علمكم الله)

«صدق الله العظيم»

[آية ٤ سورة المائدة]



الصيد بالصقور

قبل الحديث عن الصيد في الربع الخالي لابد من إعطاء فكرة واضحة عن الصقور التي نسطاد بها وكذلك الحباري التي نسطادها ليكون القارئ على علم بهذا الفن العربي الأصيل.

يبدو أن العرب كانوا يطلقون اسم الصقر على سائر الجوارح ما خلا النسر والعقاب، وقد جاء في المخصص لابن سيده أن «كل طائر يصيد يسمى صقراً ما خلا العقاب والنسر وجمع الصقر أصقر وصقور»^(١).

وذكر كشاجم أن الشاهين والزرقي اليؤيؤ والباشق كلها صقور لذلك فليست الصقور هي الوحيدة من الطيور الجارحة التي تستخدم للصيد. ويجدر التنبيه إلى «أن البعض - ومنهم خواص أيضاً - ينظرون إلى النسر على أنها من الطيور الجارحة المشهورة بالشجاعة حتى ليصفون الشباب المدرب على سلاح الطيران بالنسر، فيقولون نسورنا الأبطال وقد وقع في ذلك بعض الشعراء في مدحه للأكابر وهذا غلط فاحش، فالنسر طائر خبيث من فصيلة الرخم يأكل الجيف ويسقط مساقط الذباب، وما نعتة العرب بشجاعة ولاكرامة فنرجو أن يصحح هذا المفهوم»^(٢) كما يقول الشيخ الأديب الشاعر المؤرخ عبدالله بن محمد بن خميس.

«وتبلغ سلالات الصقر الشاهين المسجلة علمياً سبع عشرة سلالة تحتل في توزيعها الجغرافي مناطق واسعة من العالم ويكاد يكون الصقر الشاهين بسلالاته المختلفة من أكثر أنواع الصقور إنتشاراً»^(٣).

أما أنواع الصقور والجوارح الأخرى فهي عديدة منها:

الباز، والأنيفي، واليؤيؤ، والعقاب الصقر، والعقاب الزمّج، والزمج الكونج، والكونج الباشق، والباشق السنك، ومن أسماء الصقور: الشاهين، والحُر،

(١) ابن سيده، ابوالحسن علي بن اسماعيل النحوي اللغوي الاندلسي المعروف بابن سيده، المخصص، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة. منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت الجزء الثاني ص ١٤٨.

(٢) الشيخ عبدالله بن محمد بن خميس، محاضره، مرجع سابق، ص ١٤.

(٣) Falcon of the world, Tom, J. Cade.



والأكور، والهيثم، والمعرجي، والقطامي، والأسفع، والزهدم ويكنى الصقر: أبو شجاع، وأبو الصبع، وأبو الحمراء، وأبو عمران، وأبو عوان^(١).

ويعتبر الصقر من أهم وسائل الصيد عند العرب قديماً وحديثاً، ويخصص له من يهتم بتربيته وتدريبه وعلاجه وإطعامه، ويسمى «صقّار». والغذاء الرئيسي للصقر، السمانى وأفراخ الحمام بدون ريش، ولحم الغنم الضاني الأحمر.

ويعتبر الصقر من أثمن الطيور وأغلاها سعراً، ويتراوح سعره بالدولار ما بين ٥٠٠ دولار إلى ١٢٠٠ دولار وذلك يتوقف على نوع الصقر ولونه وحجمه ومميزات خاصة تميز صقراً عن آخر يعرفها خبراء الصقور.

وقد كان سعر الصقر في قطر في الستينيات الميلادية يتراوح ما بين ١٠٠٠ ريال - إلى ١٢٠٠ ريال وهذا لم يمنع أن يشتري أحد الأمراء في ذلك الوقت صقراً أبيض نادراً بمائة ألف ريال.

ويذكر بعض الصقارين كبار السن في قطر أن صقر الشاهين في سنوات خلت كان من الرخص بدرجة أن البعض من تجار الصقور كانوا يهدونه بلا مقابل للأشخاص الذين يشترون على سبيل المثال صقرين أو أكثر من الصقور الأحرار ذوات الأثمان الباهظة^(٢).

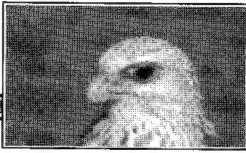
وفي مقابلة قامت بها جريدة الجزيرة السعودية مع أحد خبراء وبائعي الصقور وهو شارع بن عبدالله بن محمد الحبابي، ونشرتها الجزيرة بعددها بتاريخ ٧/ جمادى الأول/ ١٤٠٧ هـ الموافق ٢/ كانون الأول/ ١٩٨٧ م يقول الحبابي:

«أن سعر الصقر عام ١٩٨٣م كان ٢٥٠ ألف ريال سعودي وأنه الآن (١٩٨٧م) يساوي ١٥ ألف ريال، وأن أكبر سعر بيع به صقر كان ٦٠٠ ألف ريال باعه محيسن البقمي في قطر، وكان إشتراه من باكستان وكان صقراً أشقر اللون، رأسه أبيض، وصدرة أبيض، رجله قصيرة، أفجع، طويل العنق ووافي.

كما باع حمود الفهد صقراً بمبلغ ٣٧٠ ألف ريال ولكن لايساوي أكثر من ٢٠٠ ألف ريال كما يقول الحبابي، ولما سئل عن أكبر مبلغ ربحه في بيع صقر

(١) الدكتور فارس التميمي، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٣، ١٠٤.

(٢) نفس المصدر السابق.



قال: أكبر مبلغ ربحته في بيع صقر ١٥٠ ألف ريال، وكنت إشتريته بمبلغ ١٥٠ ألف ريال وبعته بمبلغ ٣٠٠ ألف ريال، وإشتراه مني عبدالله بن محمد المطوع ويقول الحبابي ان سعر الصقر العادي يتراوح ما بين ٢٠٠٠ - ٥٠٠٠ ريال. وقد ورد في جريدة الرياض السعودية أن سعر الصقر يصل إلى ٣٠ ألف دولار ويصل سعر الصقر النادر إلى ٣٥٠ ألف دولار أي أكثر من مليون ريال سعودي^(١) كما أوردت جريدة الجزيرة السعودية أن الصقر الجيري الابيض الذي يعتبر من أجود أنواع الصقور والذي يعيش في منطقة القطبي الشمالي قد وصل سعره إلى مليونين وثلاثمائة ألف ريال سعودي^(٢).

ويقول الحبابي:

أن أشهر اماكن صيد الصقور في المملكة: الحماد، وساحل جدة الشمالي، والمجيرمة بالجنوب، وفي خارج المملكة باكستان.

ومن صفات الصقر انه مدور الرأس أزرق الرجلين صغير الكف، غليظ الأصابع، لين ملمس الكف والساقين، أسود العينين، والوانه مختلفة. ومتاز الصقور بأقدام قوية يقع الإبهام فيها مقابل سائر الأصابع وتنتهي هذه الأصابع بمخالب شديدة التقوس طويلة. وكل الصقريات لها مناقير شديدة، الفك العلوي منها معقوف على الفك الأسفل.

ويحمد من الصقر أن يكون أحمر اللون عظيم الهامة، دامع العينين، تام المنسر، طويل العنق، رحب الصدر، ممتلئ الزور، عريض الوسط، جليل الفخذين، قصير الساقين، طويل الحاجبين، قصير الذنب، سبط الكف، غليظ الأصابع، أسود اللسان^(٣).

ومن أهم انواع الصقور، الشاهين والحر، وهذان النوعان هما الأكثر إستعمالاً اليوم في العالم العربي بعامة وفي منطقة الخليج بخاصة، وهما اللذان رافقانا برحلتنا إلى الربع الخالي، وهذا ما دعاني أن أتحدث عنهما وعن الفرق بينهما من سائر الجوارح التي كان العرب يستعملونها قديماً وخاصة الباز.

(١) جريدة الرياض يوم ١٤/٤/١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

(٢) جريدة الجزيرة، العدد ٢٦٥، ٢٩/ جمادي الآخرة / ١٤٠٧ هـ الموافق ٢٧/ فبراير/ ١٩٨٧ م.

(٣) كشاجم، مصدر سبق ذكره، ص ٨٥.



الشاهين



والشاهين صنفان بحري وقبلي والبحري أفضل لكثرة جوهرة وشدة كلبه، والجبلي الطف وانفس^(١) والشواهين البحرية تعيش على الشواطئ وتتغذى على طيور الماء، والشاهين كلمة فارسية معناها الميزان، وهو سريع الغضب والنفور، ولذلك فإنه يحتاج حين تعليمه وترويضه إلى المعاملة الرفيعة والرفق، ويقال عنه أنه أرق من الزجاج مكسراً، وهو أقل الصقر الحر تحملاً للشقاء والتعب واصغر منه حجماً، ويقال عن الشاهين أنه كاسمه الذي يعني الميزان لانه لايحتمل أدنى حال من الشبع أو الجوع وإذا احتاجت الشواهين إلى الطعام ولم تجده فلربما قتلت نفسها لأنها كثيرة الغضب سريعة الحدة والنفور^(٢).

الشاهين.. سريع الطرد في المسافات القصيرة ويحسن المناورة إلى حد كبير. أخذت الصورة من كتاب الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رياضة الصيد بالصقور

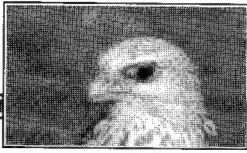
والشاهين من أسرع الجوارح كلها على الطرد

في المسافات القصيرة ومن أحسنها تقلباً في الجو وأجودها اقبالاً وادباراً وراء الصيدة واشدها ضراوة على الطرد ولكنه -كما يقول بعض القناص- أبطأ الطيور خروجاً وأكثرها تعباً لأن البعض يفضلها على غيرها من الجوارح لأنه اضرى على الصيد^(٣).

(١) من كتاب البزير (البزير) وهو المعروف بكتاب (البزيرة) لكشاجم وهي رسالة نادرة مخطوطة حققها الدكتور/ محمد عيسى صالحه، كاظمة للنشر، الكويت ١٩٨٥ م.

(٢) راجع: الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، رياضة الصيد بالصقور من تراثنا العربي، أبو ظبي، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م.

(٣) الباشا، الصيد عند العرب، مصدر سابق، ص ١٠٢



والشاهين جمعه شواهين وشياهين وقد تكلمت به العرب قديماً وليس بعربي، وسمت به العرب أبناءها، كما سمت باسماء جوارح أخرى مثل باز، وصقر، واطلقوا اسم شاهين على الرجل، وعلى العائلة ومازال في البلاد العربية إلى اليوم اسماء اشخاص وعائلات تحمل هذه الاسماء [الباز - صقر - شاهين].

وأهل الفرس يعرفون الشاهين أكثر من أهل البلاد العربية لأنه يوجد بكثرة في بلادهم وتكاد تجمع كتب البيزرة، على أن أول من عرف الشواهين ودربها هو قسطنطين ملك الروم، ذلك أنه رأى شاهيناً محلقاً على طير ماء فاصطاده فاعجبه ما رأى من فراهته وسرعة طيرانه وحسن صيده فقال ينبغي أن يُصطاد هذا الطائر ويُعلّم، فإن كان قابلاً للتعليم ظهرت منه الاعاجيب في الصيد فامر بصيده وتعليمه فصيد وعُلم وحمله على يده ثم رiest له الشواهين بعد ذلك وعُلمت ان تحوم على رأسه إذا ركب فتظله من الشمس فكانت تنحدر مرة وترتفع أخرى فإذا نزل وقعت حوله^(١).

ويصطاد العرب الصقر بطرق متعددة منها:

الصيد بالكوخ : وهو عبارة عن حفرة كبيرة تتسع لشخص تغطيه جيداً ويخرج من الحفرة حمامة تكون مربوطة بخيط عند الشخص الجالس في الكوخ، فإذا ما رأى الحمامة احد الصقور انقض عليها فيمسك بها ويأخذ الشخص في الكوخ بسحب الخيط حتى يمسك بالصقر.

الصيد بالشبك : وذلك بأن توضع حمامة في شبك تكون مربوطة بشكل مناسب بينهما اجنحتها طليقة لتلفت نظر الصقر الذي ينقض عليها فتتعلق اطرافه بالشبك ويمسكه الصياد.

صيد الافراخ وجمع البيض وتفقيسه : وهي عبارة عن جمع افراخ الصقور من اعشاشها، وكذلك جمع بيضها وتفقيسها في أماكن معدة لذلك كما يجرى

(١) كشاجم، المصايد والمصادر، ص ٨٢ وكذلك: المنكلي، انس الملا، ص ١١٧، وكذلك: صبح الاعشى، للقلقشندي، دار الكتب المصرية ١٩١٣م القاهرة، للقلقشندي، ٥٩/٢ وكذلك نهاية الارب في فنون الادب لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بالنويري، القاهرة، ١٩٣٣م، ٢٠٢/١٠٥.

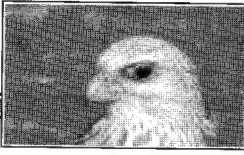


وتصاد الشواهين والوكارى في الجزيرة العربية في كل حين وهناك جبال تجود
صقورها جودة فائقة كجبل سنجار وجبل حوران وجبل شلوى، حتى أنهم يصفون
الرجال الشجعان بها فيقولون: فلان طير حوران، وفلان طير شلوى ... الخ (١).
وموطن الشاهين شرق روسيا، وهو يهاجر منها في فصل الشتاء هروباً من
البرد الشديد إلى شمال افريقيا حيث الدفء في شهري سبتمبر واکتوبر ويبقى
في المهجر شهري مارس وابريل (٢).

ويقطع في رحلته مسافات قد تتجاوز ٤٠٠٠ كيلومتراً (٣). واشهر الشواهين
قديماً كانت في أرض جرجان وفارس، وشواهين البصرة وبغداد، وشواهين
ارمينيه، ولكن اشهرها وافرهما شواهين فلسطين كما يقول ذلك صاحب البيزرة
«أنه لا يكون في شيء من البلدان افره من شواهين فلسطين بعد التجربة» (٤).



صقر يصطاد ارنبا
(اخذت هذه الصورة من دليل الطيور في قطر)



صورة صقر حر أبيض يعتبر
من الصقور النادرة وهي من
أثمن الطيور

أخذت الصورة من كتاب
الشيخ زايد بن سلطان آل
نهيان رياضة الصيد بالصقور

الصقر الحر

كانت العرب تطلق اسم صقر على كل
جارج من الطيور، ولكن العرب - خاصة في
الزمن الحاضر - خصت هذا الاسم لنوع من
الصقور «اغبر، اسعف، قصير الذنب، عظيم
المنكين، كبير الرأس» (٥).

وللصقر الحر سلالات واللوان تتعدد
باختلاف مناطق معيشتها وتواجدها، ويعتبر
الصقر الحر الأبيض لدى الصقارين الانموذج
الحقيقي والمثالي للصقر الحر، وهي أكثر
السلالات تفضيلاً من قبلهم لجمال وحسن
منظرها، ولعل هذا مادفع البعض لشراء
الواحد منها بمبلغ مائة ألف ريال قطري في
عام ١٩٦٥م،

(١) الشيخ عبدالله بن محمد بن خميس، مصدر سبق ذكره، ص ١٢ .

(٢) الدكتور فارس التميمي، مصدر سابق، ص ٩٧ .

(٣) نفس المصدر، ص ١٥١ ، وكذلك:

Hand book of the Birds of Europe the Middle East and North Africa. Vol. 1.2.p.183, Cramp & Simons.

(٤) البيز، مصدر سابق، ص ٧٢ .

(٥) المخصص، لابن سيده، مرجع سابق الجزء الثامن، ص ١٥٠ .



ومليونين وثلاثمائة الف ريال سعودي ثمننا لصقر عام ١٩٨٧م كما مر معنا. ويكفي ان نعلم « أن حضور الصقر الحر الأبيض، أو ربما مجرد ورود ذكره في مجلس معين كفيل بأن يستقطب انتباه واهتمام الحاضرين في المجلس من هواة الصيد ويعتقد الصقارون العرب أن الصقر الحر الأبيض أو الأشقر لا يخيب إطلاقاً في قدرته وكفاءته في القنص وهذا اعتقاد في محله نظراً لما يتمتع به هذا الصقر من كفاءة وبراعة» (١).

وتعيش هذه الصقور في روسيا ومنغوليا وأفغانستان وتهاجر في فصل الشتاء جنوباً لتستمتع بالدفء مابين شمال أفريقيا وغرب الهند مروراً بالعراق وإيران وباكستان (٢).

ويمكن تقسيم سلالات الصقور الأحرار إلى عدة أنواع تبعاً لالوانها وهي:
الصقر الحر الأبيض، والصقر الحر الأشقر، والصقر الحر الأحمر، والصقر الحر الأخضر، والصقر الحر الأدهم (٣).

ويتميز الحر بأنه يتحمل الجوع والجلد وشدة المعاملة وتناول الغليظ من الغذاء، وهو طائر قنوع ومزاجه أهدأ وأبرد من سائر الجوارح، وهو احسن الفة وأشد إقداماً على مهاجمة الطير، وهو من أثبت الجوارح جناحاً واقواها طيراناً، وحرصها على إيقاع الطرائد والظفر بها، وهو قصير الذنب عظيم المنكبين، كبير الرأس. ويفضل كثير من الصيادين الصقر الحر على سائر الصقور بعد سنوات طويلة من التجربة والممارسة في التدريب والصيد بالصقور وذلك لاسباب اهمها:

« أنه صياد صبور لديه قوة وطاقة في الطرد أكثر من الشاهين وهو أسرع منه في المسافات الطويلة واقدر منه على الفوز بالصيد وهو يصيد الجبارى والأرنب والكروان.

(١) الدكتور فارس التميمي، مصدر سبق ذكره، راجع الصفحات، ٤٧، ٤٨، ٦٥ .

(٢) راجع الدكتور التميمي، مصدر سابق، ص ٤٦ وما بعدها.

(٣) راجع: Frielhelm Weick & Lesslie Brown of Prey of the World:.



ويطلق العامة في الخليج العربي الصقور الاحرار (أحرار) وتوجد هذه الصقور في جزء من البحر الأحمر وما جاوره وفي الخليج العربي وما جاوره. وفي موسم الحر تهاجر هذه الطيور إلى هضبة الحبشة وإلى قمم جبال السروات وقمم جبال إيران مما يلي الخليج العربي، ويجري اصطيادها في شهري سبتمبر واکتوبر، «وهذا النوع من الصقور الاحرار هي المفضلة والاثيرة وتمتاز بكبرها وثقل وزنها» (١).

ويشترك الصقر الحر مع الشاهين بصفات منها ان كل منهما يقرنص اي (يبدل ريشه) مثل الآخر ومثلهما مثل الباز.

وعند القرنصة لا يبقى على الطير من الريش سوى العدد القليل وتستغرق هذه العملية حوالي ٣ اسابيع، يُطعم الصقر خلالها الحمام الحي، والبيض، واللحم وغير ذلك مما يعينه على التعجيل في استبدال الريش. كما يوضع الصقر اثناء القرنصة في مكان مناسب مكيف الهواء حتى لا يموت من الحر في المناطق الحارة.

كما يحتاج كل من الشاهين والحر من ٣٠ إلى ٤٠ يوماً من التدريب حتى يستطيع بعدها أن يتعرف على صاحبه وسماع نداءه وتلبية نداءه.

ويفضل القناصون الصقر المقرنص الأهلي على الفرخ إذا كانت قرنصته بعد تقدم صيد كثير منه قبل القرنصة» (٢).

ولكن وبالرغم من وجود صفات مشتركة بين الحر والشاهين إلا أن هناك فوارق بينهما منها:

أن اجنحة الشاهين بطول ذنبه لاتزيد ولاتنقص وهذه صفة لا يشاركه فيها غيره من الجوارح. أما ذنب الصقر فاطول من اجنحته بقليل، ولون رجلي الشاهين اصفر أو اخضر، بينما لون رجلي الصقر ازرق، وإذا قرنص الصقر لم يتغير حاله عن حال الفروخة تغير كبير، بل أن كان اسوداً اشتد

(١) الشيخ عبدالله بن محمد بن خميس، مصدر سابق، ص ١٢ .

(٢) البيزرة، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٥ .

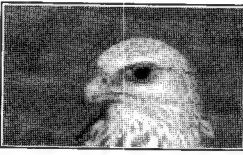


سواده وان كان أبيضاً اشتد بياضه، وله سفعة سائله (بقعة سوداء مشربة
بحمرة) بخذه ليست مثل اصداغ الشواهين (١).

كما وأن سرعة الشاهين تصل اثناء انقضاضه على الطريدة إلى ١٢٠ كلم
في الساعة بينما تصل سرعة الحر إلى ٨٠ كلم في الساعة (٢).

(١) الببزره، مصدر سابق، ص ١٢٣ .

(٢) توفيق يوسف القيسي، دليل الطيور في قطر، الجزء الأول، الدوحة، ١٩٩٠م، ص ١٢٥ .



الصيد بالصقور

الصيد بالصقر من الرياضات المحببة عند أهل الجزيرة العربية منذ عصر الجاهلية، ثم تعاقبت عليهم جيلاً بعد جيل وما زالت حتى اليوم تمثل الصدارة في مقدمة الرياضات العربية الأصيلة التي يمارسها أهل المنطقة.

ويعتبر العرب أول من درب الصقور، ويقول الجاحظ في كتابه (الحيوان) «أن الصقر عربي»^(١). وقد أجمع المؤرخون في كتب البيزرة على أن أول من صاد بالصقر ودربه هو الحارث بن معاوية بن ثور بن كندة، وسبب ذلك أنه وقف في يوم عند صياد ينصب شبكة للعصافير فانقض صقر على عصفور علق في الشبكة وأخذ يأكله وما لبث أن علق جناحاه بها والحارث ينظر إليه ويعجب من فعله. فأمر به فحمل اليه ووضع في بيت وأوكل به من يطعمه ويعلمه الصيد فصار يحمله على يده، وذات يوم وهو سائر رأى الصقر ارنباً فطار الصقر إليها فأخذها فازداد الحارث به اعجاباً واتخذ العرب بعده للصيد^(٢).

وقد أخذت الفرس عند العرب الصيد بالصقور، فقد جاء في كتاب (القانون في علم البيزرة) أن كسرى بهرام بن سابور لما بلغه تضرية العرب للصقور على الصيد ارسل إلى نصر بن خزيمة صاحب الجزيرة يلتمس منه صقوراً فارسل له منها ما كان قد دربه وعلمه الصيد فلما رآه كسرى يقتنص الظبي والارنب اشتد اعجابه به واتخذ الصقور وظهر للروم فضلها على الشواهين^(٣) ولهذا قيل : الصقر عربي والباز اعجمي.

(١) أحمد حسن الباقوري، في عالم الصيد، دار الفتح، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، ص ١١٢.

(٢) الجاحظ ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، مطبعة البابي الحلبي، الجزء السادس، الطبعة الثانية، ٣٨٦ هـ - ١٩٦٧م، القاهرة، ص ٤٧٨.

(٣) الدميمري، كمال الدين الدميمري، حياة الحيوان الكبرى، دار الفكر، بيروت، الجزء الثاني، ص ٦٦.



ويروى الصيادون حكايات طريفة عن الصيد بالصقور والجوارح عموماً منها مارواه الشيخ أحمد حسن الباقوري في كتابه (عالم الصيد) قال :

ارسل أحد ملوك مصر صقراً على كركي صبيحة يوم الجمعة بمصر فبينما الناس يصلون الجمعة بدمشق إذ وقع الصقر والكركي بالجامع الأموي، فامسك الناس بالصقر وصيده ووجدوا مع الصقر لوح السلطان ملك مصر، فعرف ذلك نائب السلطان في دمشق في مصر وارسله إلى السلطان في مصر هو وصيده (١).

ومن الحكايات الطريفة التي وردت في كتاب (البيزره): أنه كان لبعض الملوك صقارون وله وزير قد منعهم ارزاقهم وابطأ عليهم بها، فاحتالوا في تمثال مثله لذلك الوزير، وألبسوه مثل ملبوسه ثم دربوا عليه الصقور الفراه وأطعموها عليه عدة أيام، فلما ركب الملك في بعض الأيام إلى الصيد والوزير معه راكب، ارسل الصقارون الصقور على الوزير فأخذته من كل جانب، فكشفت رأسه ثم تناوته بخمش رأسه فضحك الملك من ذلك ضحكاً شديداً، ثم استدعى الصقارين وقال لهم : وما حملكم على ما فعلتم بالوزير؟

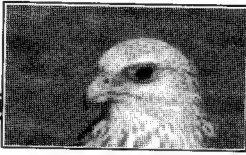
قالوا : أيها الملك أنه ابطأ بارزاقنا، ففعلنا به ذلك لنضحك الملك ونذكره بانفسنا، فعجب منهم، واحسن اليهم، ورد ارزاقهم، وغير الصقور لايفعل ذلك من الجوارح (٢).

وكانت تنتشر اساطير وحكايات خيالية عن الجوارح في عصور مختلفة منها ما روي في زمن هارون الرشيد، فقد قال الغطريف :

كنا مع هارون الرشيد أمير المؤمنين ذات يوم في ارض الموصل وعلى يده باز ابيض معجب بحسنه، فبينما هو سائر ونحن نشاهد إذ تجلى الباز وذرق واضطرب اضطراباً شديداً حتى ظن أن بين يديه فريسة فارسله، فلم يزل يتحلق

(١) البيزره، مصدر سابق، ص ١٠٤.

(٢) الغطريف بن قدامة الغساني صاحب صيد هشام بن عبد الملك، وهو عالم كبير في علم البيزره ومرجع من مراجعها.



في الهواء حتى غاب عن العيون وأيسنا منه، فلم يزل حتى أتى ومعه دابة شبه الحية أو السمكة ولها ريش كاجنحة السمك، فرمى البازيار طعاماً سواها وخلصها منه، فامر الرشيد أن تترك في طست وترفع واحضر العلماء والحكماء وسألهم: هل تعلمون في الهواء ساكناً؟ فقال واحد منهم: يا أمير المؤمنين روينا عن جدك عبدالله بن عباس(*) أنه قال: ان الهواء معمور بالوان مختلفة الخلق يسكن فيها اقربها منه دواب تعرج في الهواء وتسكنه، يرفعها الهواء الغليظ ويدنيها حتى تنشو وتصير كهيئة اجنحة السمك، تأخذها بزاة بيض تكون في ارمينيا. فعند ذلك امر الرشيد باظهار الطست ليُشاهد مافيه واجاز الرشيد الراوي واحسن اليه وصدقه.

ومن الاساطير التي تروى في هذا المجال :

أن خاقان ملك الترك قال: ان بزاة ارضنا إذا سقطت انفس فراخها سمت في الجو إلى الهواء البارد فانزلت طيوراً تسكن هناك ابداً، فتغذي فراخها بتلك الطيور حتى تنهض، فبعد ذلك تتغذى مما تصيد وربما وجد في اوكارها اطراف تلك الطيور وأشلاؤها^(١).

(*) ليس صحيحاً ما يروى عن ابن عباس في هذا المجال لغرابته وبعده عن الحقيقة، وهذا من الاساطير.

(١) البيزرة، مصدر سابق، ص ٨٧، ٨٨.



هواية الصيد بالصقور في المغرب العربي

عرفت هواية الصيد بالصقور في المغرب العربي قبل ظهور الاسلام بزمان بعيد، وقد ورد على لسان شعراء قرطاج وشعراء اليونان ما يشير إلى وفرة الجوارح في المغرب وقد ساهم المغاربة في تحسين طرق التضرية والتدريب.

وإذا كان بعض الخلفاء والسلاطين في المشرق أمثال يزيد بن معاوية وهشام بن عبد الملك والمهدي والرشيد والمعتصم مولعين بالصيد وجعل بعضهم من الصقارين أطاراً من اطر الدولة، فقد عرف كذلك المغرب عدداً ممن كانوا يمتلكون الصقور ويعتنون بها ويتهادون بها مع ملوك أوروبا اللذين كانوا يقولون عنها الشعر مثل الشاعر الاسباني الراهب (اربريستو دي لينا) الذي يعد من كبار شعراء اسبانيا في القرن الرابع عشر الميلادي والذي ذكر الصقر (الحر) في شعره. كما سمعنا عن قانون شارلمان لحماية البيزرة وقرأنا عن تأليف فريدريك الثاني حول منعه الصيد بواسطة الجوارح.

وكان ملوك المغرب يتهادون الصقور مع ملوك أوروبا متخذين من ذلك وسيلة للسلام والمحبة بين الامم وكان ذلك من الدلالات الحضارية البالغة العمق بين الامم^(١).

وتذكر حوليات قرطبة (٣٥٠هـ - ١٩٦١م) على معلومات تتعلق بتربية صغار الصقور، كما اسهم التأليف المغربي في علم البيزرة حيث وجدنا لسان الدين الخطيب يكتب مجلداً بالبيزرة بحث فيه احوال الجوارح ومرضها وعلاجها.

(١) حول صيد الصقور في المغرب العربي، راجع مفصلاً :-

د. عبد الهادي التازي، القنص بالصقر بين المشرق والمغرب، من منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، المغرب، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.



وكانت الصقور من المواضع التي كان ملوك المغرب يدخلونها في مقايضاتهم مع ملوك اسبانيا فعندما قامت اشتباكات بين الفريقين في فترة زمنية سابقة كان مما طلبه الاسبان علاوة على تحرير ستين أسيراً مسيحياً اداء اتاوة غريبة وذلك بدفع اثني عشر صقراً في كل عام للبلاد الاسباني واثنى عشر جواً كذاً (١).

وفي عهد السعدي سنة ١٦٠٩م كان صيد الحباري أو (دجاج قرطاجنة) يتم بواسطة الصقور على أحسن ما يكون.

وتحتفظ الوثائق الانجليزية وبخاصة الوثيقة المؤرخة بيوم ٧/ديسمبر/١٦٣٧م بوصف شامل لزيارة القائد المغربي جُودر بن عبدالله الذي وصل إلى (Kent) يوم ٨/أكتوبر/١٦٣٧م وقد كان يحمل معه من جملة الهدايا التي قدمها باسم العاهل المغربي عدداً من الصقور التي ابتهج ملك انجلترا برؤيتها ورؤية تجهيزاتها الرفيعة (٢).

(١) التازي، المصدر السابق، ص ٣١.

(٢) نفس المصدر، ص ٣٥.



مراكز تربية الصقور وعلاجها

انتشرت مراكز تربية الصقور وعلاجها في منطقة الخليج العربي مع زيادة الاهتمام بهواية الصيد بواسطة الصقور، وكذلك بسبب زيادة اسعارها التي بلغت - كما مر معنا - عدة ملايين من الريالات للصقر الواحد من الصنف النادر.

ومنذ سنوات عديدة افتتح في دولة قطر عيادة خاصة لعلاج الصقور والعناية بها^(١)، وكذلك افتتح مركز لهذا الغرض في دولة البحرين، كما ويوجد مستشفى للصقور في دبي يعمل على تفقيسها وتهجينها وعلاجها وتجري هناك دراسات لتوليد باز لم يعرفه العالم من قبل كما يشير تقرير نشرته مجلة الوسط وقد استقبل المركز عام ١٩٨٣ م ٩٠ صقراً للمعالجة بينما استقبل عام ١٩٩١ م ١٣٠٠ صقراً^(٢). وفي المملكة العربية السعودية اقيم مركز لانتاج الصقور على جبل السوداء في ابها - منطقة عسير - وذلك من اجل المحافظة على هذه الصقور وتكثيرها، ويعتبر هذا المركز من أكبر وانجح مراكز تكاثر الصقور في العالم ويشرف على هذا المركز خبراء في رعاية الصقور وتربيتها وتفقيسها^(٣).

ووضحت نتائج دراسات على ١١٨ صقراً نوع (صقر الغروب) قامت بها الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وانمائها، أن نسبة نجاح الفقس تصل في هذه الطيور إلى ٨٠٪ ويرجع ذلك إلى توفر الغذاء من الطيور الصغيرة. (العصفوريات) التي تعتبر صيداً سهلاً لصقر الغروب^(٤).

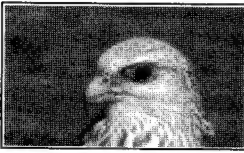
(١) الدكتور فارس التميمي، مصدر سابق، ص ٦.

(٢) مجلة الوسط، عدد ٣، تاريخ ١٧/٢/١٩٩٢ م.

(٣) Patricia A. Little, Ahlah Wasahlan, April, 1987, No. 4, Year 11., (٣)

Saudia Air Lines Magazine.

(٤) التقرير السنوي للهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وانمائها ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م الرياض، ص ٦٠.



يرجع اهتمام العرب بالصقور إلى عهد بعيد فقد كان هناك دوافع متعددة للمحافظة عليها ورعايتها، وعلاجها، إذ أنها بالإضافة إلى كونها وسيلة للصيد فإن الرفق بالحيوان عموماً من صفات المسلم الصحيح العقيدة إذ أن الاسلام الزم المسلم بالرفق بالحيوان وحسن معاملته وعلاجه وقد عرف العرب منذ القدم اسباب مرض الصقور وطرق علاجها وتفوقوا في هذا الميدان تفوقاً كبيراً، ويكفي أن نذكر بعض اسباب امراض تلك الطيور وكيفية علاجها كما وردت في اكثر كتاب من الكتب اليزره (١) :

الامراض :

أمراض العين، أمراض أذن الجارح، أمراض الأنف والفم، أمراض آلات النفس، أمراض زهرك الجارح ومعدته وأمعائه، أمراض كبد الجارح، أمراض ظهر الجارح، أمراض أجنحة الجارح، أمراض رجلي الجارح، الأمراض الحادثة بعامة جسد الجوارح.

الادوية :

أدوية البلغم، من أدوية الريح، علاج الأمراض المختصة بعضو عضو، علاج الزكام في الشتاء، علاج ضيق الأنف من النزلات، علاج الريح في الرأس، علاج السدة في دماغ الجارح، علاج وجع الرأس من بلغم، علاج صعود المرض المعروف بالجص من بطن الطير إلى رأسه، علاج الأكلة في الرأس وهي انتهاء علة الجص، علاج ورم الرأس من طول المنسر، إصابة الدخان، علاج الرويحة، علاج الصداع، علاج أمراض العين، علاج أمراض أذن الجارح وأنفه، علاج صدر الجارح، علاج أمراض جرباء الجارح وقرقباتته، علاج الريح في الجرباء، وهو الزهرك، علاج وجع المعدة، علاج ورم الصدر، علاج الدود في الزهرك،

(١) راجع، انس الملا بوحش الفلا، للمنكلي، مصدر سابق وكذلك، البيزره، تحقيق محمود كرد علي. مصدر سابق، وكذلك، كشاجم، مصدر سابق.

(١) الدميري، الحيوان، مصدر سابق، الجزء الأول، ص ٢٢٦.



علاج الجص، إذا وجعت البازي جوفه، إذا كان البازي يصيح إذا ذرق، إذا كان بالبازي أسر، من أدوية الحصاة، من أدوية الجص، علاج التخمّة، علاج الغثيان إذا عرض للطير، علاج إفراط الجوع، علاج الأكال في الجوف، علاج النفس من بلغم، علاج احتباس الريح، علاج الطير إذا لم يهضم الطعام وأبطأ في تعبيره، علاج الريح في الجوف، علاج الدود في البطن، علاج الطير إذا كان مدوي الجوف، علاج أمراض أمعاء الجارح، علاج أمراض الكبد، علاج الاستارم، علاج أوجاع الظهر، علاج استرخاء العجز، علاج أمراض اجنحة الجوارح، علاج الخضد، علاج الأكلة في الجناحين، علاج وئي الجناحين، علاج أمراض رجلي الجارح، علاج الريح في فخذ الجارح أو ساقه أو كفه، علاج الشقاق (شقاق البواسير)، علاج المسمار، علاج الباد جنام، علاج النقرس، علاج السوزنك، علاج الورم في الكف، علاج سقوط المخلب، علاج انقلاع المخلب، علاج انكسار المخلب، علاج الأمراض التي تحدث بعامة جسد الجارح، علاج الاختلاج، علاج الانتفاض، علاج السل، علاج الفالج، علاج البرد والكزاز، علاج إصابة البرد والثلج في الشتاء، علاج إصابة الحرّ في الصيف، علاج كثرة التعب والأعياء من الصيد وغيره، علاج الضعف، علاج الهزال، علاج الصدمة، علاج الريح في الجسد، علاج القمل، علاج الخلع والكسر والوهن، كيفية التضميد على الخلع والكسر، علاج الطير إذا عرضت له جراحة - طرية أو عتيقة، علاج الطير إذا أصابه الحرق في ريشه، علاج الدود في أصول الريش، علاج الجارح إذا نتف ريشه ولعاً من غير علة، علاج ريش الجارح إذا تكسر من ملوحته، علاج ريش الجارح إن التوى واعوج، علاج الطير بالقيء، علاج الطير بالاسهال، علاج الطير لاسمانه، فصل في عمل الادوية والجوارشنات والمعاجين والأطلية، صفة المعجون الأصفر المنذري، صفة طلاء تطلى به البزاة قبل القرنصة وبعدها، صفة المعجون الملقب بأفلونيا، صفة معجون ينفع من الأكان في الجوف، صفة جوارشن ينفع البزاة والبواشيقي من التخم والبشم، ويطرد الرياح ويشهي الطعام وينشط الطير للصيد، كيفية بيوت القرنصة.



أول من تبتدئ به من طعمها حين تطرحها للقرنصة في أول يوم.
أدوية الأمراض التي تعرض للجوارح في القرنصة، علاج الطير إذا ألقى
ريشه في غير وقت القرنصة، نتف الجوارح في قرنصتها، إضمار الطير بعد
خروجه من القرنصة، دلائل هلاك الجوارح وعلامات موتها ووفاتها (*).

(*) ان اهتمام المسلمين في عصورهم الماضية بعلاج نوع واحد من الطيور بأكثر من خمسة وثمانين نوعاً من الدواء يبين إلى مدى وصلوا في علم الطب البيطري فما بالك بالطب البشري الذي تتلمذ عليه الغرب في نهضته الحديثة.



الحبارى

خالة الكروان وعمة النعام



ذكر حبارى في احدى محميات الصيد
في المملكة العربية السعودية
اخذت هذه الصورة من اليوم الهيئة
العامية لحماية الحياة الفطرية
وانماثها - الرياض

الحُبارى (بضم الحاء وفتح الباء) وجمعها حباري أو حباريات وذكُرُها الحبرج طائر بين الكروان والنعام حجماً وشكلاً، وهي في حجم الديك الرومي، كثير الريش طويل العنق، رمادي اللون، في منقاره بعض طول^(١) وتسمى ايضاً دجاجة البر، كما يسميها المغاربة دجاجة قرطاج، ويصل وزنها إلى عشر كيلو غرامات بنواحي مدينة مكناس في المغرب كما يقول الدكتور

التازي^(٢). الحباري من الطيور المعروفة منذ زمن بعيد، فقد عثر على أول سجل يبين العلاقة بين الانسان والحبارى في كهف تاجو سيجورا بجنوب اسبانيا يعود تاريخه إلى الفترة ما بين ٤٠٠٠ - ٦٠٠٠ سنة قبل الميلاد^(٣).

وقد عرف العرب الحباري منذ القدم، وروى الترمذي وابو داود عن يزيد بن عمر بن سفيينة مولى رسول الله ﷺ عن أبيه عن جده أنه قال: «أكلت مع رسول الله ﷺ لحم حباري»^(٤).

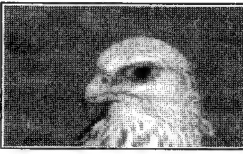
ويعتبر هذا الطائر من الطيور الصحراوية وهو طائر خجول جداً بطبعه يحب الخلوة بعيداً عن العمران وتشتهر الحباري بالجبن ولذلك يضرب البدو المثل بالجبان فيقولون «أنه اجبن من حبارى» كما اشتهرت عند العرب بالغفلة فقالوا: مافي الطيور اشد بلها منها لانها تترك بيضها وتحتضن بيض غيرها. وقد ضرب عثمان بن عفان رضي الله عنه المثل فقال «كل شيء يحب ولده حتى الحبارى».

(١) الدميري، الحيوان، مصدر سابق، الجزء الأول، ص ٢٢٦.

(٢) عبد الهادي التازي، مصدر سابق، ص ١٠٤.

(٣) درويش الشافعي، مجلة الاجنحة الملكية الاردنية، العدد ١٦٠ اغسطس آب ١٩٩١م.

(٤) سنن ابي داود، الجزء الثالث، دار الفكر، بيروت، باب الاطعمة حديث رقم ٣٧٩٨.



ومن شأن الحباري أن تموت كمداً إذا تساقط ريشها في موسم سقوطه ثم أبطأ نباته فطارت صويحباتها وبقيت هي عاجزة عن الطيران ومن هنا ضرب المثل فقول « مات فلان كمد الحباري » (١).

تضم فصيلة الحباري ٣٢ نوعاً تختص أفريقيا بـ ٢٣ نوعاً لا توجد في غيرها، وبقية الانواع تستوطن في آسيا وأوروبا وأستراليا (٢).

ويتواجد في جزيرة العرب ثلاثة أنواع من الحباري احدها مقيم وهو (الحباري العربية - Arabian Bustard) ويستوطن سهل تهامة عسير ويتوالد في حدود اليمن وحتى وادي فاطمة واعداده قليلة جداً والنوعان الاخران مهاجران وهما (الحبارى - Houbara Bustard) و (الحباري الكبيرة - Great Bustard) واعدادها في انخفاض مستمر لذلك فهي معرضة للانقراض بسبب تعرضها المستمر للصيد (٣). ويقول الدكتور عبدالعزيز ابو زناده الامين العام للهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية ان عام ١٩٦٠م شهد آخر حبارى في الجزيرة العربية ومعنى ذلك ان الجزيرة العربية تخلو من هذه الحيوانات الفطرية (٤).

وتتغذى الحبارى على النباتات المتوفرة في بيئتها، فهي مثلاً تحب اكل (البطم) وهو حب اخضر في حجم حبة العدس أو الكرسة، ينبت شجره في جبال بلاد الشام وفي فلسطين خاصة وهي اشد الطيور طيراناً " واطولها شوطاً " وذلك أنها تصاد بالبصرة فيشق عن حواصلها فتوجد بها الحبة الخضراء من البطم غضة لم تتغير ولم تفسد، ومنابت اشجار البطم في جبال بلاد الشام، ولذلك قيل في المثل «أطلب من حبارى» (٥).

(١) الحيوان للجاحظ، مصدر سابق، الجزء الخامس، ص ٤٤٦.

(٢) الشيخ زايد بن سلطان، مصدر سابق، ص ٦٤.

(٣) احمد محمد غندور، المها من الاسر إلى التوطن، مطبوعات الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وانمائها جدة، ١٩٨٧م ص ٩٤.

(٤) مجلة اليمامة، الرياض، عدد ٩٦٦، تاريخ ١٨ ذو الحجة ١٤٠٧هـ.

(٥) الدميري، حياة الحيوان الكبرى، مصدر سابق، ص ٣٥٩.



كما تتغذى الحباري على الاعشاب وتأكل نوعاً من النباتات التي فيها مذاق حار كالحردل وورق الفجل والزعرور ولعلها تأخذ منه سلاحها الحارق (١) الذي يعرف (بالطمل) والذي تستعمله الحباري سلاحاً تدافع به عن نفسها امام الصقر المفترس، ولذلك قيل «سُلَاحُهَا سِلَاحُهَا». ويجمع سلاحها في خزان بين دبرها وامعائها، وهو سائل لزج رقيق حار. فإذا هاجمها الصقر يريد اقتناصها جعلت تعلو وتهبط وتتيامن وتتياسر حتى تجد فرصة ترميه بذرقها فإذا أخطأته انقض عليها، وإذا اصابته غدا كالمكتوف المقيد وعند ذلك تجتمع عليه الحباري فينتفن ريشه كله ويكون في ذلك هلاكه (٢) وإذا اصاب السلاح عيني الطير قد تسبب له العمى من شدة حرقتة.

وقد كانت الحباري وسلاحها وجبنها مضرب المثل عند العرب فيقولون فلان «اسلح من حباري» كما هي مضرب المثل للشعراء عند الهجاء. فقد جاء قول أحد الشعراء يهجو احدهم قائلاً.

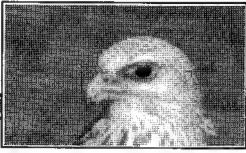
وهم تركوك اسلح من حباري رأيت صقراً واشرد من نعام
وقال قيس بن زهير أحد الشعراء الجاهليين.

متي تتحزّم بالمناطق ظالماً لتجري إلى شأوٍ بعيد وتسبح
تكن كالحباري ان اصبحت فمثلها اصيب وان تفلت من الصقر تسلح
وقال ابن ابي فتن يصف خيانة بعض العاملين :

رأوا مال الامام لهم حلالاً وقالوا الدين دين بني صهاري
ولو كانوا يحاسبهم امين لقد سلّحوا كما سلّح الحباري

(١) الدكتور عبد الهادي التازي، مصدر السابق، ص ١٠٠.

(٢) الدميري، حياة الحيوان الكبرى، مصدر سابق، ص ٢٥٩.



وتعيش الحبارى بتجمعات كل سرب يتألف من ٤ - ١٠ أفراد وتتكاثر بوضع ٣ - ٥ بيضات زيتونية اللون، وتحتضن الأنثى البيض حوالي ٢٣ يوماً ويساعدها أحياناً الذكر، وحينما يفقس البيض تبقى الصغار تحت الرعاية الأبوية ٣٥ يوماً، وتعيش الحبارى حوالي ٣٠ عاماً^(١).

وهذا الطائر يوشك على الانقراض لقلته تكاثره وكثرة اصطياده، بالرغم أن لحمه رديئاً يابساً كما يقول البعض، خاصة في الزمان الذي يرجع فيه من الهجرة بسبب كثرة الطيران، كما وإن لحمها اصلب من لحم الدجاج. واعتقد أن كثيراً من انواع الطيور اطيب لحمًا من لحم الحبارى.. ولكن يبدو أن البعض يعتقد أن لحمها «يقوي الغريزة الجنسية كما يقول شارع الحبابي»^(٢).

وحتى لاينقرض هذا الطائر النادر بادرت المنظمات الدولية المختصة إلى ضرورة المحافظة على هذا الطائر، وبالرغم من وجود عدة مراكز لتفقيص بيض الحبارى وتكثيرها في أكثر من بلد خليجي إلا أن ما قامت به الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وانمائها في المملكة العربية السعودية يعتبر رائداً في هذا المجال، خاصة وإن الجزيرة العربية قد شهدت انقراض طائر النعام الذي شوهد لآخر مرة في البراري في مدائن صالح في عام ١٩٠٩م، وفي صحراء النفوذ ١٩٣٩ - ١٩٤٤م ويعتقد أنه انقرض تماماً في الشرق الاوسط منذ عام ١٩٥٠م، ولايزال الخطر يهدد انواعاً أخرى من الطيور^(٣).

وقد اعرب الامير سعود الفيصل وزير خارجية المملكة العربية السعودية - العضو المنتدب للهيئة، عن اهتمام المملكة باقامة مركز دراسات ، حيث «أن عدد مراكز الدراسات لهذا الطائر قليلة جداً فوسيلة دراسته تتم من خلال تجميع النوعيات من الانواع المماثلة في المملكة أو المناطق المجاورة، ولاشك

(١) درويش الشافعي، مصدر سابق، وكذلك توفيق يوسف القيسي، مصدر سابق.

(٢) شارع بن عبدالله الحبابي، جريدة الجزيرة، مصدر سابق.

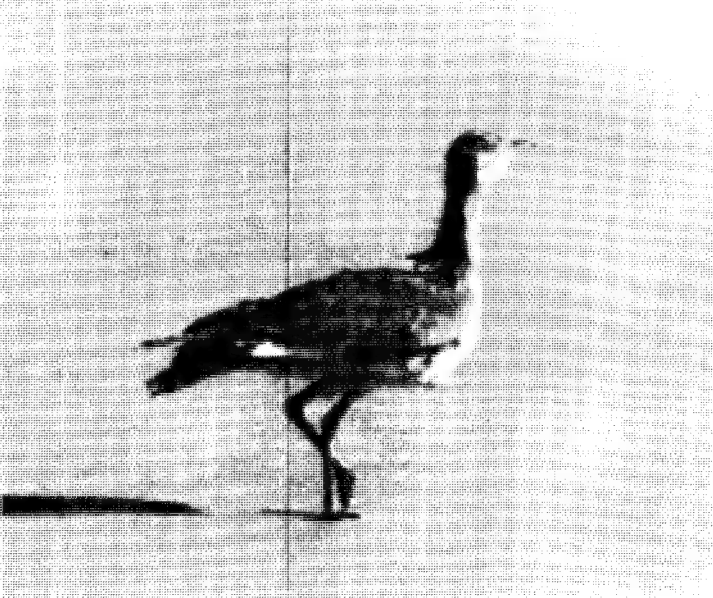
(٣) أحمد محمد غندور، مصدر سابق، ص ٩٤.



ان اجراء التجارب حول التفريخ والتفقيص لهذا الطائر - وأن امكن - سيكون أول برنامج من نوعه في العالم»^(١).

وفعلاً بدأ مشروع اكثار طيور الحبارى في الطائف واشرف عليه أحد الخبراء العالميين، وقد ارسلت البعثات العلمية إلى الجزائر للبحث عن الحبارى الافريقية وإلى باكستان للبحث عن الحبارى الآسيوية، وأرسلت تلك البعثات إلى المركز بالطائف عدداً من الحبارى لاجراء الدراسات والتجارب عليها وبلغ عددها عام ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م إلى ١٢٧ حبارى افريقية وإلى ٧٧ حبارى آسيوية احضرت ٥٧ من باكستان وامسكت ١٤ في الخلاء بواسطة الطيور .

وقد تتطور عمل المركز حتى تمكن من انشاء محمية في الطائف تبلغ مساحتها ٢٢٠٠ كيلو متراً مربعاً واطلقت عدد من طيور الحبارى في مساحة ٤ كيلو مترات مربعة^(٢).



حبارى تركض فوق
الرمال

(اخذت هذه الصورة
من كتاب دليل
الطيور في قطر)

(١) مجلة اليمامة، الرياض، العدد ٩٦٦، تاريخ ١٨ ذو الحجة، ١٤٠٧هـ.

(٢) التقرير السنوي للهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وانمائها، ١٤١١هـ ١٤١٢هـ، الموافق ١٩٩١م، ص ٩٥.



معركة جوية

بين شاهين وحبّارى

وفي رملة الكرسوع رأينا الحبّارى تخط على الرمال خطوطاً متداخلة. واقتفى احد (اخوان شما) من البدو آثار واحدة منها وما هي الا لحظات حتى طارت الحبّارى عن الارض ، وكشف البدوي الغطاء عن وجه الصقر (الشاهين) وطار خلفها فلما احست الحبّارى به، نزلت على الأرض بين الاشجار خوفاً منه وحلق فوقها وكاد ينقض عليها لولا أنها لاحظت ذلك فطارت في السماء مرة أخرى كادت لا ترى لشدة ارتفاعها، والشاهين معها يضربها تارة بجناحه وتارة يحاول ضربها بمخالبه الحادة كالسكاكين .

لقد كانت معركة تقترب معركة جوية زاد من روعتها تمكني من التقاط فيلم سينمائي ملون كم تمنيت أن احصل عليه قبل ذلك ، واستمر الشاهين ينقض ويصعد ويحوم مع الحبّارى حتى استطاع أخيراً أن يضربها بمخالبه ضربة جعلها تنزل من أعالي السماء جريحة وكأنها طائرة هابوية والشاهين بمحاذاتها.

وما كادت تقترب من سطح الأرض حتى انقض عليها ثانية، وامسك بها وحملها إلى مكان بين الشجر وأخذ يأكل منها لحماً طرياً طازجاً وهي تحته ثابتة لاهراك فيها من الخوف والالام.

أخذت أكمل تصوير الفيلم السينمائي والتصوير الفوتوغرافي ولم تكن الحبّارى قد ماتت بعد، ثم جاء البدوي مدرب الشاهين فذبّحها وأخذ رأسها وفتحها وقدمه للصقر ليأكل منه المخ ثم أخذ الحبّارى من تحته فكانت عشاء لذيذاً طيباً لنا في تلك الليلة.

«وفي حياة الحيوان، عن القاضي ابي علي التنوخي، قال:

حدثني فارس بن مسعف - احد الجند القدماء - قال :

كنت اصطحب قائداً ، يعرف بابي اسحق الازدي ، وكانت اليه امارة المدائن والمدينة العتيقة، وهي آن ذاك عامرة أهلة. والسلطين ينزلون بها، وكنت مقيماً معه فيها.



صقر يصطاد حبارى
(أخذت هذه الصورة من دليل الطيور في قطر)

وكان لهجا بالصيد(*) فخرج ذات يوم، وأنا معه، الى المدينة المعروفة بالرومية، المقابلة للمدينة العتيقة، وهي آن ذاك خراب، ومعه صقارته، وآلة صيده، وجنده حتى ظل يومه، وسلك الطريق. وكان معه صقر له فاره قد شبع مما اطعمه من صيده، فمسح الصقار صقره وحمله علي يده، وهو يسير، اذا اضرب الصقر فقال ابن أبي مسعود: قد شاهد الصقر طريده، هذا الاضطراب لاجلها فأرسله.

فقال : هو صقر شره، واضطرابه ليس لهذا. وقد شبع ولا آمن أن أرسله على طريدة وهو شبعان فيتية.



فزاد اضطراب الصقر.

فقال : ارسله وليس عليك منه شيء ، فارسله ، وتراكضنا خلفه ، حتى اذا جاء إلى اجمة صغيرة ، تستر ونحن نراه ، فرفرف عليها ، وإذا بشيء صعد منها مثل الشاب ، في مقدار النشابة فقط . فحاص عنه الصقر ، ثم انحط في الاجمة ، فدخلنا وراءه . وإذا هو على حبارى واصطادها . وإذا قد طلع على يد الصقار .

ومن عادة الحبارى ان تذوق على الجارح الذي يصيدها لتحرق جناحه ، وتصيره بذرقها لحما وتسليخ جلده ، والصقر عارف بذلك فاحتال عليها الصقر ، فرفرف عليها كأنه يريد صيدها ، فذرقت الحبارى إلى فوق حتى صعدت ذرقتها فلما اخطأت الصقر ، انحط عليها في الحال فاصطادها .

وكان الصقارون ومن حضر من الجند والمتصيدين يعجبون من ذلك ويعدونه من اغرب ما شاهدوا من افعال الجوارح .

(*) لهجاً بالصيد : مولعاً به .



قصة صقر

وعن التنوخي ايضاً، عن فارس هذا قال: كنت مع هارون بن غريب الحبال من جملة عسكره ورجاله. ونحن قيام بين حلوان والجند سائرون، وهو يتصيد في طريقه، إذ عن له غزال فارسل عليه صقرا كان بحضرته، ولم يكن الكلابون بالقرب منه فيرسلون معه كلبا.

لأن العادة جرت ان الصقر يطير فيقع على رأسه، فيعقره، ويضرب بجناحيه بين عينيه فيمعه من شدة العدو فيلحقه الكلب فيصيده.

هكذا جرت العادة في صيد الغزال بالصقر.

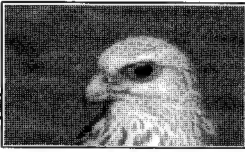
الا ان الحبال لما لاح له الغزال اطلق الصقر لثلاث فوته الغزال، وعز عنه طلب الكلاب في الحال وقد رأى أن يشغله الصقر عن العدو، فتلحقه خيلنا ورماحنا. فطار الصقر وتراكضنا خلفه وانا ممن ركض. وجرى الغزال حتى وافى إلى منحدر جبل في الصحراء فانحدر فيه.

فلما حصل منحدرنا سقط الصقر على خده وعنقه فثبت مخاليبه فيهما، وحمله الغزال، فرأينا الصقر قد سدل أحد جناحيه أنه ليخط في الارض، حتى وصل إلى موضع من الصحراء فيه شوك.

فعلق اصل شوك عظيم به، فجذب عنق الغزال بالمخبل الآخر الذي كان امسكه به في خده واصل عنقه، واذا به قد دق عنقه، وصرعه فلحقناه ووقعت البشارة.

فقال ابن الحبال ومن معه: ما رأينا قط صقراً افره من هذا.

وخلع على الصقار خلعة حسنة».



الصيد بالكلاب

يستعمل من الكلاب في الصيد الكلب العربي السلوقي، نسبة إلى مدينة سلوق باليمن «والكلاب السلوقية مجدولة القوام، طويلة الرقاب، ممتدة الظهر، ضامرة البطن، مرتخية الاذان، طويلة القوائم، خفيفة الحركة، حادة الشم، سريعة العدو، تستعين بسمعها وشمها القويين على العثور على الصيد، وهي تصيد الطباء، وبقر الوحش، وحمار الوحش»^(١).

وكان للكلب شأن كبير عند العرب، وخاصة السلوقي، فكانوا ينسبون الكلاب كما ينسبون عناق الخيل، مثل احد الكلاب المشهورة عند العرب الذي عرف نسبه للجد الخامس، واسمه: جدعان السلهب بن البراق بن وثاب بن مظفر، بن محارش^(٢).

وكان العرب يستجيدون من الكلاب ما يستجيدون من الخيل، وقد ذكر في هذا الصدد ان المأمون قال لبعض اصحابه: امض إلى البادية فابتع منها خيلاً تستجيدها. قال الرجل: يا أمير المؤمنين لست بصيراً بالخيل. قال المأمون: افلست بصيراً بالكلاب؟ قال الرجل: نعم. قال المأمون: فابصر كل ما تتوخاه في الكلب المنجب الفاره والتمس مثله في الخيل^(٣).

وكان العرب يشتقون من اسمها اسماء لانفسهم في موضع النباهة وعلو الشأن نحو:

كليب بن ربيعة وهو كليب وائل وقد ضرب به المثل بالعز ف قيل: «أعز من كليب بن وائل». وقد اشتق من اسم الكلب اسماء جعلت علماً للأشخاص مثل:

(١) عبدالله بن محمد بن خميس، مصدر سابق، ص. ٩.

(٢) كشاجم، المطارد، مصدر سابق، ص. ١٣.

(٣) الشيخ أحمد حسن الباقوري، مصدر سبق ذكره، ص. ١٠١.



كليب بن ربيعة، وكلاب بن ربيعة، ومكالب بن ربيعة ومكلبة بن ربيعة بن نزار. وكذلك كليب بن وبرة، ومنه بنو الكلبة، وهم أبناء مَيَّة بنت علاج بن شحمة العنبري الذين اشاد بهم العرب.

ويشتهر الكلب بالوفاء وقد رويت قصص كثيرة عن وفاء الكلاب الذي تميزت به عن سائر الحيوانات، وقد ذكر بعض الرواة أنه كان للعامر بن عنترة كلاب صيد وما شبه وكان يحسن صحبتها فلما مات لزمته قبره حتى ماتت عنده^(١).

ويستعمل الكلب في مهمات كثيرة لخدمة الانسان، وقد استعمله العرب قديماً ومازالوا - للحراسة والصيد واقتفاء الاثر وغير ذلك.

وعندما جاء الاسلام اقر العرب على استعمال الكلاب للحراسة والصيد وما ينفع. وقد ذكر الشيخ احمد حسن الباقوري في كتابه (في عالم الصيد) «أن الكلب - على ما ذكر مالك والزهري وداود - طاهر، وإنما يغسل الاناء من ولغة تعبداً. وكذلك حكى هذا عن الحسن البصري وعروة بن الزبير محتجين بقوله تعالى « فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ »^(٢)، ولم يذكر غسل موضوع امسأكها، كما احتجوا لذلك بحديث ابن عمر رضي الله عنهما - قال:

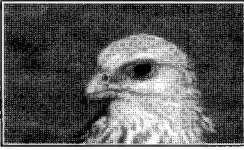
« كانت الكلاب تقبل وتدبر في زمان مسجد رسول الله ﷺ وتبول، فلم يكونوا يرشون شيئاً من ذلك الماء » على ما ذكر الامام البخاري في الصحيح^(٣).

ونظراً للصفات المميزة لهذا الكلب السلوقي عن الكلاب الأخرى، كان يتواجد داخل بيوت العرب في الخيام بينما تجلس أنواع الكلاب الأخرى في الخارج. وكان الكلب السلوقي موضع احترام وتقدير سكان الصحراء كمرافق

(١) فضل الكلاب على كثير محمد ليس الشياب، للمريزان، القاهرة، ١٣٤١هـ، ص ١٠.

(٢) آية رقم ٤ سورة المائدة.

(٣) صحيح البخاري، نسخة المكتبة الاسلامية، محمد اوزدمير - استانبول تركيا، الجزء الأول الكتاب الرضوء (٤) ص ٥١.



وصياد، كما كان يلقي العناية من النساء كاحد ابناء الأسرة. وكانت صورته ترصع رخام قصور الفراعنة المصريين، والقصور المقببة للخلفاء الإيرانيين والسجاد المفروش في خيام شاهات الفرس وحصون النبلاء الانجليز وقلل اصحاب الملايين الأمريكيين^(١).

وبين الكلب وبين الضبع عداوة شديدة حتى أنه إذا كان الكلب في مكان عال ووطئت الضبع ظله في ضوء القمر فإنه يرمي بنفسه عليها مخذولاً فتأخذه الضبع وتأكله^(٢).

وهناك روايات تروى عن العداوة بين الانسان والضبع، فيقال ان الانسان اذا فوجئ بالضبع ليلاً يقف مذهولاً أمامه فيقذفه ببوله فيضبعه، أي يجعله فاقد الوعي بحيث يسير وراء الضبع مشلول الارادة حتى يصل إلى وكره فيأكله الضبع، إلا إذا صدم رأس الانسان بحجر أو شجر ونزل منه الدم فعندها فقط يصحو ويهرب.

ولذلك يضرب المثل بالشخص الذي يفقد شخصيته امام شخص آخر بقولهم: فلان مضبوع من فلان وكذلك يقال عن كل امه فقدت كيائها واصبحت تقلد امة أخرى بدون وعي أو ارادة «امة مضبوعة» وهذا ما يقصده البعض بقولهم «نحن امة مضبوعة من الغرب» لأننا نقلده ونسير وراءه ونأخذ منهج حياته بخيره وشره بدون وعي.

(١) Virginia M. Burch, SALUKIS, T.F.H., Plaza, Neptune City, Canada, P.6.

(٢) الشيخ الباقوري، مصدر سبق ذكره، ص ٩٦.



الكلب السلوقي (حرّكه)

يقوم بعض البدو بتربية الكلاب السلوقية المشهورة بالصيد وتعتبر مصدر رزق هام لصاحبها، والبدوي الذي يملك واحدة منها يعتبر من البدو الميسوري الحال الذين يسهل عليهم الحصول على صيدهم في الصحراء حين يشح الطعام. وللبدو طريقة في تربية هذا النوع من الكلاب فهم حين يحصلون على الجرو لا يطعمونه شيئاً غير حليب النوق الخالص حتى يبلغ عمره عدة شهور، بعدها يطعمونه شيئاً من اللحم.

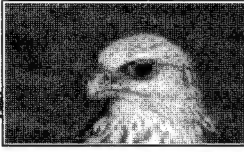
وإذا ما ولدت الكلبة عددا من الجراء أخذت تعتني بها بارضاعها حليبها لمدة قصيرة ثم لاتلبث أن تذهب ليليا إلى البر تصطاد ماتصادفه من حيوانات برية وخاصة الارانب، وتحضرها لابنائها فتطعم كل واحد منهم قطعة من الصيد وهي تشرف على اطعامهم وتربيتهم بشكل يدعو للاعجاب.

لقد رأيت كلبة سلوقية تسمى (حرّكة) في مزرعة الأمير تذهب للصيد بعد الغروب ثم لا تلبث أن تأتي بارنب فيأتي إليها جراؤها ولكنها لا تدع واحداً منهم يستأثر بشيء من اللحم، بل توزعه عليهم بشكل يدعو للدهشة والاعجاب.

ولقد رأيتها في ليلة من الليالي، تذهب للصيد بالظلام، وإذا ما حاول أحد أولادها الصغار اللحاق بها ضربته وأدبته ليعود ثانية، فإذا ما تعنت أحدهم وأصر على اللحاق بها عضته عضه تجعله يعود مهرولاً صائحاً من الألم.

وبعد فطم الجراء، تؤخذ بعيداً عنها في الصحراء مع البدو وتمرن على الصيد ويصبح باستطاعة كل منها صيد الأرانب والغزال.

والكلب السلوقي من الكلاب المشهورة بذكائها فقد استطاعت الكلبة السلوقية (حرّكة) اصطياد عدد من الغزلان في يوم واحد أمسكناها جميعها أحياء.



وفي رحلة من رحلات الصيد في الصحراء كانت (حُرْكة) ترافق الأمير في سيارة وكانوا إذا ما صادفهم قطع من الغزلان يضغط السائق على (فرامل) السيارة لتخفيف السرعة فتقفز (حركة) في الحال من شباك السيارة، وما هي إلا لحظات حتى تراها ممسكة بطرف جلد الغزال وتقف وهي تشده بانتظار وصول السيارة.

وهكذا استطاعت (حُرْكة) في رحلة واحدة أن تصطاد عدداً كبيراً من الغزلان، حملت جميعها إلى مزرعة الأمير وأخذت تتوالد هناك وتكاثر. ولا يقتصر صيد البدو على الحيوانات النافعة بل يصطادون كل ما يصادفهم من حيوان في الصحراء، حتى ولو لم يكن فيه فائدة كالضبع والنيص.



الكلبة السلوقية
(حركة) اسرع من
الغزال والارنب



الضبع

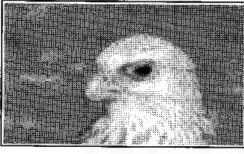
في ليلة من الليالي كان مرافقوا الأمير من البدو ينامون في الصحراء متفرقين خوفاً من أن يفاجئهم أحد على حين غرة وهم مجتمعون فيصعب عليهم الدفاع عن أنفسهم.

وأصبح أحدهم ممن نام على مسافة من الجماعة فرأى آثار أقدام ضبع يبعد عنه خطوات قليلة فأخبر القوم ودققوا النظر بالأثر فعرفوا أنه جاء ليلا ليفترس الرجل، ولكنه ظل واقفاً مكانه عدة ساعات ثم ولى هارباً عندما بدأ الفجر بالطلوع كما دل على ذلك آثار أقدامه. فقرر الأمير مع إخوان شما أن يتبعوا الضبع ويمسكونه حياً.

ركبوا سيارة خفيفة سريعة واقتفوا أثره عدة ساعات حتى رأوه أمامهم من بعيد يركض هارباً.

ولم تمض نصف ساعة من الوقت حتى كان أحد إخوان شما قد أمسكه من ذيله بعد أن وصلتته السيارة واقتربت منه، ثم رموا فوقه أكياساً من الخيش وقفز عليه عدد من الرجال فربطوا فمه ربطاً محكمًا بكمية من القماش وأوثقوا رجليه ويديه وحملوه في السيارة.

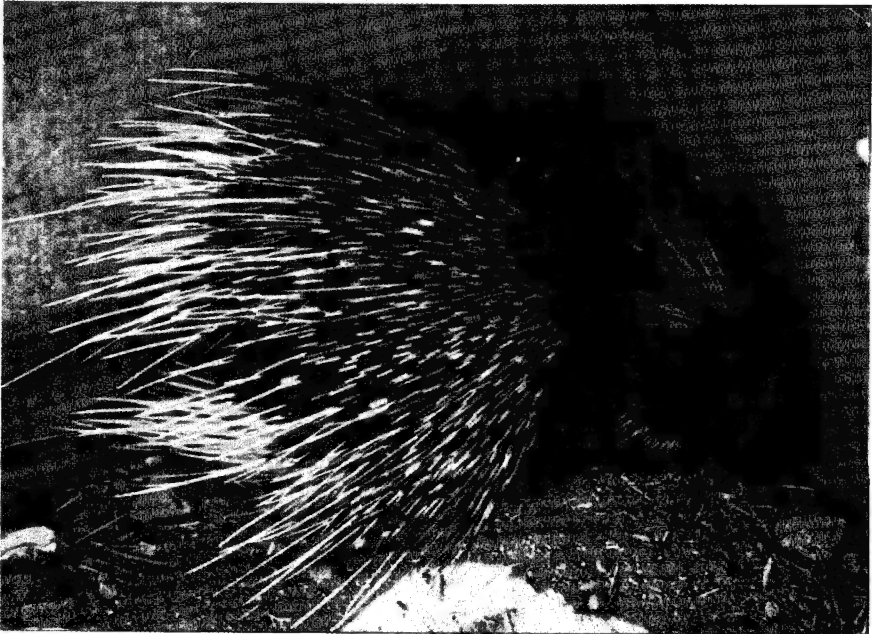
ومضت عليه عدة ساعات والبدو يلعبون به ويضحكون عليه حتى مات، ويقولون بأنه مات قهراً من الغيظ!!



النيص

وتتبع البدو مرة آثار نيص، وهو حيوان يعيش في الصحراء وفي بعض المناطق الجبلية. وحجم الكبير منه كحجم الجدي الصغير، وشكل جسمه يشبه الأرنب ووجهه يشبه وجه الفار، وتكسو جسمه أبر طويلة حادة يزيد طول الواحد منها عن ١٥ سم يطلقها على عدوه في أوقات الخطر، وهي مؤذية جداً وخطرة إذا ما أصابت أحداً في مكان حساس من الجسم.

وبعد مسيرة مسافات طويلة وصلوا إلى جحره وأخذوا يحفرون فيه حتى وصلوه فهرب من الجحر فهجم عليه أحدهم ورمى فوقه كيساً من الخيش وأمسكه، بعد أن أخذ نصيبه من ريشة أصابت يده كالسهم وسببت له نزيفاً مزعجاً ولكن سرعان ما شفي.



النيص



العروق

بعد هذا الاستطراء مع القارئ العزيز نعود لنقف عند رملة عروق الشائبة، التي كانت طريقاً للرحالة ولفريد ثيسيجر صاحب كتاب (رمال العرب) الذي قطع الربع الخالي عدة مرات على الجمال.

تعتبر سلسلة الجبال الرملية التي قطعنا قسماً منها في الكرسوع امتداداً لعروق الشائبة، وقد سميت بهذا الاسم لأن رمالها الحمراء يتخللها خيوط رملية بيضاء تشبه الشيب، إلا أن هذه الرمال تعتبر أقل ارتفاعاً من رملة الكرسوع، ومع هذا فإن قطع هذه الجبال الرملية بواسطة الجمال لا شك أنه عمل بطولي يستحق كل إجلال وتقدير.

وقد ذكر ولفريد في كتابه عن رحلته هذه التي قطع فيها الربع الخالي من عروق الشائبة^(١) :



أحدى السيارات تغوص في الرمال



« كانت الشمس محرقة فشعرت بالدوار والمرض والفراغ وكان قلبي يدق بانفعال، وظمئي يزداد قراره، وكان من الصعب علي أن أبلع ريقى وشعرت بأذني كأنهما مسدودتان.

كنت أقف لأرتاح على الرملة اللاذعة فأسمع أصوات الآخرين مبسوحة متعبة تناديني .. أسرع .. أسرع .. يا مبارك .. يا مبارك^(١) ..

« عبرنا هذه السلسلة من التلال بعد ثلاث ساعات ولم يكن على القمة إلا سهول متماوجة كالتي صادفناها في اليوم السابق، بل كان هناك ثلاث سلاسل من التلال الصغيرة وبعدها التقت الرمال مع اليابسة وعملت منبسطة خالياً بين الجبال.

كانت السلسلة على الجانب الآخر تبدو أعلى من تلك التي وقفنا عليها، وكان وراءها سلاسل أخرى.

أخذنا نفتش عن مهرب فلم يصطدم نظري بأي منفذ، ففي أقصى مكان من هذه المسافات الشاسعة التقت الرمال بالسماء، ولكن في تلك المسافة المتناهية لم أر حياً ولا حتى نبتة ذابلة لتمدني بالأمل.

ليس هناك مكان نذهب إليه لقد انتهينا حقاً ..

نزلنا إلى الوادي بطريقة ما لا أعرف كيف تمكنت الجمال من ذلك.

ثم صعدنا إلى الجانب الآخر وهناك تهالكنا على الأرض ونحن متعبون جداً، أعطى العوف (دليل مرافق) كلاً منا قليلاً من الماء يكفي لترطيب أفواهنا وقال: (نحن بحاجة إلى هذا إذا أردنا أن نكمل سيرنا).

« كانت شمس الظهيرة قد شحبت وقذفت الغيوم المستديرة المنتشرة ظلالاً

(١) مبارك: الاسم الذي أطلقه البدو على ولفرید نیسیغر.



على التلال والسهول، فظننت أننا على قمم جبال الألب العالية والبرك الزرقاء
والخضراء المتجلدة تمتد في الوادي تحتنا، استدردت على جانبي وأنا نصف نائم
ولكن الرمال أحرقت جسدي من خلال القميص فأفقت من أحلامي..

أيقظنا العوف بعد ساعتين وبينما كان يساعدني على تحميل جملي قال:
«أبشر... أبشر يا مبارك هذه المرة عبرنا حقاً عروق الشائبة».

وتمتد عروق الشائبة من ناحية الشرق داخل الرمال الخطرة المعروفة «بام
السمين» وتتصل «بسنام المحاكيك» في «الكرسوع» حيث تزداد سلسلة الجبال
الرملية علواً وارتفاعاً، ولكن بواخر الصحراء التي معنا (سيارات الدودج
البورويجين) جعلتنا لا نهتم بالرمال مهما علت شمخت.

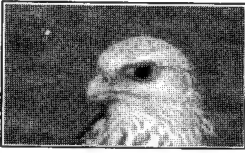
وصل ولفريد ثيسينغر إلى رملة أم السموم، تلك الرمال المخوفة التي يروي
عنها البدو القصص الطوال عن اللصوص الذين غرقوا فيها، وأكد أحد البدو
لثيسينجر أنه رأي بعيني رأسه قطيعاً من الماعز يختفي عندما انشقت الأرض
فجأة وابتلعتة.

وقد تحاشينا المرور في هذه الرملة (أم السموم) وابتعدنا عنها في طريقنا
لخطورتها وليونة رملها الذي تغوص فيه السيارات والحيوانات فلا ينجو منها
أبداً من يدخل فيها ويؤكد البدو أنهم شاهدوا بعض الغزلان الفارة منهم أثناء
الصيد تبتلعها الرمال بالرغم من خفة الغزال وسرعة حركته.

وروي لي أحد البدو أن أربع جمال فقدت له فيها وابتلعتها الرمال التي لا
تلبث أن تعود منبسطة كما كانت بعد ابتلاع جمل كبير أو عدة جمال.

ويقال بأن هذه الرملة المنبسطة (أم السموم) كانت بحيرة غطتها الرمال بمرور
الزمن.

ويقول البدو بأن فيها طريقاً يعرفه الخبيرون منهم يصل بين طرفيها من



وسطها، وهو قليل العرض يسمونه (بالصراط) لأنه طريق ضيق، لا يلبث الإنسان أن يقع من فوقه وتبتلعه الرمال إذا ما حاد عنه قليلاً ذات اليمين أو ذات الشمال.

وتبدأ عروق الشائبة من ظفارة وهي منطقة فسيحة تقع بين أبي ظبي والمملكة العربية السعودية وتمتد نحو الجنوب ويحتاج راكب الجمل إلى ثلاثة أيام حتى يقطعها عرضاً، وقد استطاع أحد البدو الذين يرافقوننا وهو دليل الرحلة أن يقطع هذه الرمال من الشرق إلى الجنوب عرضاً على جمل، وذلك عندما كلفه الأمير أن يفتش عن أثر للمها في تلك المناطق، وقد قطعها طويلاً في مدة ستة أيام ووصف هذه الرمال بأنها تسير بخط مستقيم تقريباً وتنتهي بانحناء نصف دائري وهي تشبه يد العصا (العكاز). وذلك عندما تلتقي برملة الحباك أخطر رملة في الربع الخالي وأكثرها وعورة (وسنأتي على ذكرها فيما بعد).



الجن

يعتقد البدو أن الربع الخالي موطن الجن، ويسمونها (السكون) ويعتقدون أن الجن يملكون سيارات تظهر أحياناً في الليل، وأنهم يظهرون على شكل بعض الحيوانات كالثعبان والأرانب والورل..

وفي صباح يوم السبت ١٣ شباط / ١٩٦٥م الثاني عشر من شوال واصلنا سيرنا نصعد التلال ونسير في السهول يوماً كاملاً، حتى نزلنا في مكان قريب من عين (أبو قرون) تلك البئر التي سنملاً منها براميل الماء التي أصبحت خالية تماماً.

مع الغروب كنا في سهل فسيح محاط بسلاسل جبال رملية، يرتفع بعضها حوالي ٦٥٠ قدماً وتتخذ أشكالاً هندسية غريبة جميلة، تدل على عظمة الخالق، وكانت هذه الكثبان تعكس أشعة شمس الغروب بالوان ذهبية وبرونزية جميلة، وكان الجو رائعاً والهواء منعشاً مما شجعني رغم التعب أن أحمل بندقية الصيد وأسير وراء أثر أرنب وبعد مسيرة ساعة، أدركني الغروب فعدت راجعاً من طريق آخر متجهاً نحو أصوات منبعثة من سفح كثيب رملي، حسبتها طيوراً أو حيوانات برية.

ولكنني لم أعثر على شيء عند وصولي لذلك الكثيب.

- وحينما وصلت (العنه) قال (اخوان شما):

عساك حصلت الصيد ؟.

قلت :

لم اوفق مع الأسف بالرغم من أنني سمعت أصوات بعض الحيوانات القريبة وتوجهت نحوها ولكن لم أعثر عليها ولا على أثر لها.



ضحك البدو وقالوا :

« هذه أصوات السكون ! ».

قلت: وما السكون ؟.

قالوا : الجن. ألا تعرف الجن؟ «إنهم يسكنون هنا في هذه المناطق».

أخذ كل واحد منهم في تلك الليلة يقص علي قصة عن الجن وكيف تظهر في الربع الخالي للإنسان وأنها لا تؤذي إلا الذي يخاف منها.

ويعتقد البدو أن الجن تخاف من الذئب لأنه يفترسها وأن عيني الذئب تظهرانها للعيان كما (تظهر الحوامض الصور الفوتوغرافية).

وروى أحدهم قصة البدوي الذي رأى رجلاً يرافقه مسافة طويلة في الصحراء. وكيف أن ذئباً يسير معهما يحاول افتراس الرجل وبعد أن قطعاً مسافة طويلة سمع البدوي صراخ مرافقه، فالتفت إليه، وإذا بالذئب يهم بافتراسه فاطلق البدوي النار على الذئب فقتله وبذلك أنقذ الرجل الذي يرافقه والذي تبين له أنه «جني» بعد أن رأى وجهه الغريب.

فشكر الجني للبدوي حمايته واختفى، ويعتقد البدو أن عند الجن سيارات (بورويجن) (ويكب) وكنور (سيارة كبيرة تستعملها شركة ارامكو لصعود الرمال)، ويروون قصصاً كثيرة عن رؤية سيارات الجن في الليل، وكيف يرون أضواءها ويسمعون أصواتها!

ولحقت بنا إحدى السيارات التي معنا ذات ليلة وكانت متأخرة عنا بعض الوقت وفيها عدد من ريعنا فقالوا لنا :

هل رأيتموهم ؟

قلنا : ومن هم ؟



قالوا: السكون في السيارة.

قلنا : لم نر شيئاً.

فاقسموا أنهم رأوا سيارة توجه إليهم نورها الكشاف فحسبوا أنها إحدى سيارات قافلتنا وأنها بحاجة إلى إسعاف. فساروا نحوها ولكن ما كادوا يصلونها حتى اختفت ولم يعثروا لها على أثر. فعرفوا أنها ليست من سياراتهم وأنها للجن!...

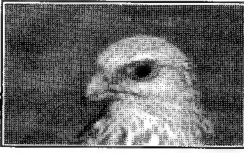
وفي إحدى الليالي أثناء (رجوعنا للدوحة) وبينما كنا نجهز عشاءنا لحقت بنا سيارتان لم نعرف هويتهما، فأمر الأمير أن نتأخر بتناول العشاء حتى تصلا لعل فيهما أحد بحاجة إلى طعام أو ماء أو يحمل خبراً ما عن بقية القافلة التي كانت لا تزال متأخرة عنا.

ولكن اختفاء ضوء السيارتين وتأخرهما بالظهور جعلنا نتناول عشاءنا ونواصل سيرنا.

وبعد عدة ساعات أخذت السيارتان تقتربان منا، ثم لا تلبث أن تبتعدا، واستمرت على هذا الحال عدة مرات مما جعلنا نستغرب هذا الأمر، فخشينا أن يكون فيهما جماعة من اللصوص.

جهزنا سلاحنا وأطفأنا أضواء السيارات وانتظرناهما في حالة استعداد.

وعند منتصف الليل نزلنا وأشعلنا النار وجهزنا القهوة والشاي وفوجئنا بنور السيارتين على مسافة قريبة جداً منا، وكانت إحدى السيارات معنا قد (بنشرت) فأخذنا نبدل دولابها ووجدنا أثناء ذلك، أننا نسينا الإبرة الخاصة بالدولاب مع السيارات المتأخرة.



فذهبت إحدى السيارات التي معنا للسيارتين اللتين أطلتا علينا من قريب
للتعرف على من فيهما هل هم أصدقاء أو أعداء ولنطلب إبرة دولاب منهم إن
كانوا من ربنا.

وكم كانت دهشتنا عندما عادت السيارة لتخبرنا بأن السيارتين اختفتا ولم
يعثر لهما على أثر في الأرض وطبعاً لن تكونا إلا للجن...!!!

وتحدث ولفريد ثيسيجر في كتابه عن هذا الموضوع وروى قصة أحد مرافقيه
الذي أصابه مس من الجن فقال:

وحدث في إحدى الليالي أن كنت نائماً في العراء قرب (مقشن) وقد
أيقظني صياح وصراخ متواصلين ينبعثان من ناحية جماعة البدو وسألت عما
حدث وكان رد (ابن قبينة) أن (سعيداً) أصابه مس من الجن وعلى ضوء القمر
الهادئ رأيت الصبي وهو أحد أبناء (بيت كثير) يجلس القرفصاء فوق نار
صغيرة، وقد غطى وجهه بقطعة من قماش وهو يهتز ذات اليمين وذات الشمال
وتندو عنه صرخات مفزعة وقد جلس الآخرون صامتين مشدوهين على مقربة منه
وفجأة أخذوا في تلاوة بعض التعاويذ بينما بدأ (سعيد) يتلوى حتى سقط أحد
أطراف القماش في النار وهذأت ثورة الصبي شيئاً فشيئاً وأشعل أحد الحضور
قليلاً من البخور في وعاء ثم قربه من أنف الصبي المختفي وراء قطعة القماش.
وفجأة بدأ الصبي يترنم بصوت حاد غريب والجميع يرددون كلاماً بعده وما لبث
أن هاج ثانية ثم هدأ، ومال عليه أحد الرجال يسأله أسئلة كان يجيب عليها
وهو في شبه غيبوبة.

لم أفهم شيئاً مما دار في الجلسة من أسئلة وأجوبة فقد كان الحديث بلهجة
(المهرة) وبعد أن أعطى (البخور) للمرة الثانية ذهبت عنه اللوثة وتمدد لينام



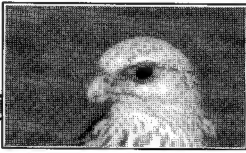
أمير الرحلة (يمين) والمؤلف (يسار) عند بئر باقرون
(صورة سحبت من فيلم سينمائي للرحلة عام ١٩٦٥م)

ولكنه لم يلبث أن أفاق وأخذ يبكي بمرارة ويتن كأن به ألماً مبرحاً. وتجمع الرفاق حوله يرتلون حتى هدأ وعأوده النوم^(١).

كما تحدث أيضاً عن هذا الموضوع محمد أسد في كتابه الطريق إلى الإسلام، وذكر كيف يتحدث البدو عن ظهور الجن في الصحراء، بأشكال حيوانات وكيف أنهم يمنعون قتل الحية بعد غروب الشمس لأنها تكون من الجن^(٢).

(١) تقدير للمسافة عند البدو يصل ما بين كيلو متراً ومئات الكيلومترات. ويستعملونها تعبيراً عن قصر المسافة لتهوينها على النفس.

(٢) Thesiger, OP. Cit.



عَيْن أَبوقرون

(إحدى الآبار التي حفرتها شركة أرامكو في الصحراء أثناء التنقيب عن البترول وهي ذات رائحة كبريتية كريهة، وماؤها غال يمكن استعماله للشرب والطبخ بعد تبريده وتغاير رائحته الكريهة).

نحن الآن على (مرمى العصا^(*)) من عين أبوقرون كما أفاد البدو، وقد خيل إليّ أن مرمى العصا قد لا تزيد مسافتها على بضع مئات من الأمتار، ولكن (مرمى العصا) في الصحراء عند البدو قد تجاوزت هذه المرة عدة مئات من الكيلو مترات، فما كدنا نستيقظ صباحاً في ذلك السهل الذي أمضينا فيه ليلتنا حتى توجهنا نحو (عين أبوقرون) المركز الرئيسي لنا والذي سننزل فيه وسنملاً أوعية الماء وننظم أنفسنا للرحلة الشاقة إلى أعماق الربع الخالي.

لقد وصلنا عين (أبوقرون) يوم الأحد مساء ١٤ شباط ١٩٦٥ بعد سير متواصل شاق عبر الرمال اللينة والكثبان العالية، ولكن جمال الصحراء الذي لا يحس به إلا من يعيش فيها، قد أنسانا التعب والعطش والحر، وكنا نشعر أننا في رحلة ممتعة لا تعادلها أي رحلة بين الرياض الخضراء والحدائق الغناء.

نزلنا في سهل تحيط به الكثبان الرملية من كل جانب يتوسطه أنبوب يتدفق منها الماء الغالي الذي تنبعث منه رائحة كبريتية كريهة وهي إحدى الآبار التي حفرتها شركة أرامكو أثناء التنقيب عن البترول، في المنطقة الجنوبية الشرقية من المملكة العربية السعودية.

وقد حفرت على بعد عدة أمتار منها بئر بترول ظهر منها أنبوب مسدود بالأسمنت يرتفع عن الأرض حوالي قدمين.

(*) محمد اسد، الطريق إلى الإسلام، نقله إلى العربية عفيف بعلبكم، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٨١، ص ٢٥٢، ٢٥٧، ٢٥٨.



ونتيجة لعمليات التنقيب التي جرت في هذا الجزء من المملكة العربية السعودية وعثور الشركات على البترول بكميات كبيرة جداً، قرر الخبراء أن السعودية تعتبر في طليعة الدول التي تملك أكبر احتياطي من البترول في العالم.

أنزلنا حمولة السيارات على مقربة من العين وذهبنا لنستحم فيها بعد أن قضينا تسعة أيام لم نستعمل الماء فيها إلا للأكل والشرب، ولذلك كانت فرصة طيبة لنزح عن أجسامنا ورؤوسنا ما تراكم عليها من رمال.

وكانت المياه تتدفق من البئر من علو عدة أمتار مرفوعة بانبوب وضع بحيث يمكن الاستفادة منه في الإغتسال وملء البراميل والأوعية.

ويسبب تدفق المياه المستمر تكونت حول العين بركة كبيرة.

ذهبت لأستحم فركضت وجلست تحت أنبوب الماء ولكنني سرعان ماقفزت إلى حوض الماء الذي حولها عندما شعرت بجسمي يكاد ينسلخ من شدة الحرارة ولكنني لم أجده أكثر رحمة بجسمي من ماء الأنبوب فخرجت مستعيذا بالله من نار جهنم...

وبعد أن برد جسمي أخذت أنقل الماء بوعاء كبير واستعمله على مهل حتى تخلصت من الرمال التي كانت تغطي جسمي وشعرت بأن وزني قد نقص وأنني أصبحت أكثر نشاطاً فلم أعد أحس بتعب هذه الرحلة الطويلة.

هذه العين هي منتصف طريقنا إلى الربع الخالي وهي المكان الوحيد الذي يمكننا أن نأخذ منه حاجتنا من الماء ورغم حرارته ومرارته ورائحته الكبريتية الكريهة، فهو يعتبر ماءً زلالاً بالنسبة للآبار الأخرى الموجودة على مسافات بعيدة جداً في تلك المنطقة.

وقد كان البدو يملأون الأوعية ويتركونها مكشوفة لتتطاير منها الرائحة



الكبريتية وما يلبث الماء أن يصبح صالحاً للشرب بعد زوال الرائحة الكريهة منه بالرغم من تمسكه بمذاقه المر.

أخذنا حاجتنا من الماء وجهزنا أنفسنا في نفس الليلة للرحلة الطويلة القادمة لاختراق الرملة الصعبة رملة (الحباك) ووزع الأمير الذخيرة والسلاح على الجميع، فقد عزمنا على دخول (دار القوم) أي أرض العدو، والعدو هنا، هو القبائل التي قد تحاول الاعتداء علينا ونهبننا إذ لا تزال بعض القبائل البدوية- التي يندر وجودها- في تلك المنطقة تعتبر دخول أرضها اعتداء عليها، تدافع عنها فحب الوطن والدفاع عنه واجب مقدس عند العربي الأصيل، حتى ولو كان هذا الوطن سوا في رمال في الربع الخالي.

ومن حسن حظنا أن بعض مرافقي الأمير كانوا من كبار رجال القبائل التي تقطن في أطراف تلك المنطقة فنحن من هذه الناحية مطمئنين نوعاً ما، وقد كان يقف على طريق القافلة بعض البدو من سكان تلك المناطق ليسلموا على الأمير، وهو بدوره يغدق عليهم من القهوة والعيش (الرز) والتمر وغير ذلك مما لا يتوفر لهم هناك إلا نادراً.

لذلك فقد كنا آمنين بعض الشيء من اعتداء القبائل ولكننا لم نكون واثقين من عدم الاصطدام بالدوريات الانجليزية التابعة لسلطنة مسقط وعمان وذلك بعد أن نخرج من حدود المملكة العربية السعودية وندخل أراضي (السيد) أي سلطان مسقط وعمان تلك الحدود الوهمية التي تمتد عدة آلاف من الكيلو مترات في بحور الرمال.



العروق المعترضة

تتألف هذه العروق من عدد من الرمال الوعرة التي تحاشى إختراقها جميع المكتشفين توماس وقيلبي وئيسيغر.

وتبدأ من (اللواء) التي تتصل بالظفره بالقرب من حدود (أبو ظبي) في الشمال الشرقي وتمتد باتجاه الجنوب الغربي مسافة ٢٥٠ ميلا.

وتتألف من رملة الكدن، وعروق الشايبة ورملة أم سعيدان ورملة الحباك.

فمنا ليلتنا عند عين (أبو قرون) في الصباح غادرنا، متوجهين نحو الشرق لنخترق الرمال إلى جدة الحراسيس حيث يوجد المها العربي الأبيض (بقر الوحش) المعروف (بالوضيحي) وقد تركنا بعض السيارات الثقيلة عند (أبو قرون) لعدم استطاعتها إختراق الرمال التي مر بهائيسيغر (مبارك) وصحراء غنيم الشايب (الرجل المسن) وغنيم الولد، وأمامنا كذلك رملة السحمة.

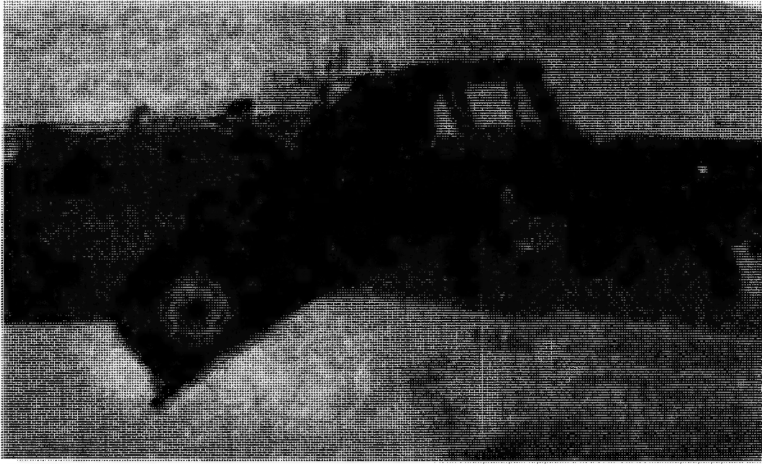
بدأنا نصعد مرتفعات وتلالا رملية كالجبال، نرى فيها آثار الطباء تتناثر هنا وهناك.

وكنا نمر في سهول مغطاة بالأشجار والأزهار والعشب الأخضر الجميل الذي يغطي التلال الرملية ذات اللون الأحمر القرميدي وكان شجر الزهر ذي الرائحة الزكية والأزهار الجميلة وكذلك شجر الرمرام والعبل الذي تأكله الجمال والحيوانات، وللحظات نسينا أننا في الصحراء، وحسبنا أنفسنا وسط الحدائق والبساتين التي تشقها الأنهار.

وبعد مسيرة أربع ساعات متواصلة جلسنا لاستراحة قصيرة أخذ البدو يلعبون، فهم مغرمون بالمزاح والمصارعة ورمي الرمل على رؤوس بعضهم البعض.



وبعد شرب القهوة وأصلنا السير لقطع رملة الحباك التي يبلغ عرضها أكثر من خمسة وعشرين كليومترا قطعناها في نهار كامل فما كنا نصعد سلسلة من الجبال الرملية حتى تواجهنا أخرى ولقد كانت هذه الرمال ترتفع على شكل سلاسل جبال رؤوسها متقاربة جداً. لذلك يطلق عليها البدو اسم (المنشار).



سيارة غرست على قمة كثيب مرتفع لاحظ كيف تحلها الرمال من وسطها بينما تسبح عجلاتها في الهواء

وكانت جميع السيارات تأتي من السهل وتصعد هذه التلال باقصى سرعتها فإذا حاول السائق أن يخفف من السرعة غرست السيارة في الرمل فلا يستطيع التقدم أو التأخر، فيأتي أخوان شما يحفرون تحت العجلات حتى يتمكن السائق من الرجوع ثانية ليأتي بسرعة أكثر، وما أن تصل السيارة إلى رأس (القعد) الكثيب المرتفع، حتى تنزل بانحدار شديد إلى الجهة الأخرى.

وقد حاول سائق سيارتنا أن يهدأ السرعة على رأس قعد من القعاد حتى يتسنى له رؤية الأرض التي أمامه والتي يستحيل عليه رؤيتها والسيارة متجهة للسماء لشدة ارتفاع القعد، فتوقفت السيارة وراحت عجلاتها تدور في الهواء، والرمل يحملها من منتصفها وكأنها تقف على سنام جمل.



نزلنا من السيارة وأخذنا نزيح الرمال من الأمام والخلف حتى بدأت تنساب فوق الرمال الناعمة التي حملتها وأوصلتها الأرض سالمة.

وكم مرة كانت تصل مقدمة السيارة إلى الأرض وتصطدم بها قبل وصول العجلات لشدة إنحدار الجبال الرملية ولا تلبث أن تصطدم مؤخرتها بالأرض ثانية.

وقد سميت هذه الكثبان الرملية العالية كالجبال بعروق النشب لأنها لينة تغوص فيها الجمال (وتنشب).

وإذا حاول الإنسان النظر من الأرض إلى قمته لا يلبث أن يقع العقال من فوق رأسه لشدة ارتفاعها.

هنا في هذه الرمال تذكرت المكتشفين الذين قطعوا الربع الخالي على الجمال وعرفت السبب الذي من أجله يتجنبون رمال (الحباك) هذه، والتي لم يسبق أن ارتادها أحد لصعوبة مسالكها وقلة مياهها، فقد قطع برترام توماس سنة ١٩٢٩ الربع الخالي من أطراف الشمالية الغربية ماراً (بسليل) واحة جبرين، التي اكتشفها «تشتسمان» سنة ١٩٢٤ والتي تعتبر من المناطق الآهلة بالسكان بالنسبة لغيرها من مناطق الربع الخالي.

لقد برهن توماس على أن هذه الصحراء ليست مستحيلة العبور، وإذا كان قد استعمل أسهل الطرق حيث التلال الصغيرة والأبار المعروفة فإن ذلك لا يقلل من قيمة إكتشافه.

أما ولفريد ثيسنغر (مبارك) فقد قطع الربع الخالي مرتين الأولى سنة ١٩٤٦ خرج من سلالة (ظفار) على بحر العرب، ومر من أطراف (جدة الحراسيس) الجنوبية ووصل وادي مقشن ثم قطع رملة الغافة وعروق الشايبة ورملة الريض القريبة من عمان ثم دخل حدود عمان إلى بئر الحوشي وباتي ثم



عبر جبال القرة حتى وصل إلى سلالة ثانية.

ويلاحظ أنه تجنب المرور بالحباك لأنه يستحيل على الجمال أن تعبرها ومر من وادي مقشن في الشرق إلى رملة الغافة وعروق الشائبة وهي مناطق وعرة وكلفته جهداً ومشقة يستحق معها كل تقدير، خاصة إذا علمنا أنه أول من قطع الربع الخالي من هذه الجهة على ظهور الجمال وقد استغرقت رحلته تلك ما يقرب من الشهرين.

أما رحلة تيسيفر الثانية فقد كانت في سنة ١٩٤٧ وقد بدأ رحلته هذه من المكلا (حضر موت) ومر بالقعاميات ثم وادي الدواسر إلى أن وصل إلى سيليل ومنها إلى ليلى معقل (الأخوان) الذين حاولوا قتله لولا أن السلطان حجزه هناك عدة أيام لأنه لا يحمل تصريح دخول إلى الربع الخالي...

وشاء حسن حظه أن يلتقي بعبد الله فليبي الذي اتاه لمساعدته بعد أن سمع عن وجوده هناك وحصل له على إذن الدخول من الملك عبد العزيز آل سعود، ثم واصل سيره إلى أن وصل إلى (واحة جبرين) بعد أن عبر صحراء الدهناء التي تبلغ مساحتها خمسة عشر ميلاً مربعاً وهي التي تصل الربع الخالي بصحراء النفوذ الكبرى بشمال الجزيرة العربية ثم مر (بسبخة مطي)، التي تقع جنوب قطر. وبعد مرور شهرين وصل إلى دبي.

ويلاحظ أن تيسيفر هذا قد تجنب في المرة الثانية أيضاً الدخول في المنطقة الوسطى من الربع الخالي وذلك لاستحالة قطعها بالجمال وخطورتها.

لقد حاول سنت جون فيليبي المسمى (عبدالله فليبي) أن يقطع الربع الخالي عدة مرات ولكنه لم يوفق إلا سنة ١٩٣٢م. أي بعد برترام توماس بسنتين، ولذلك يعتبر ثاني رجل أوروبي قطع الربع الخالي من الخليج العربي إلى البحر الأحمر وهو أول من أكتشف النجود العربية الواقعة إلى الجنوب من الحجاز

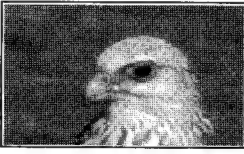


والممتدة إلى قلب الصحراء والتي ألف عنها كتابا سماه (النجد العربية) سنة ١٩٥١م. وكان قد ألف عدة كتب عن الجزيرة العربية منها قلب الجزيرة العربية الذي نشر سنة ١٩٢٢م. و(الربع الخالي) الذي صدر سنة ١٩٣٣م. أي بعد ارتياده بسنة ويعتبر فيلبي أول من رسم خارطة الربع الخالي.

وقد بدأ فيلبي رحلته باتجاه سلوى نقطة الحدود بين قطر والعربية السعودية (التي مررنا عنها أول رحلتنا) ومر بصحراء الجافورة إلى واحة جبرين. وطريقه هذا مواز للطريق التي سار فيه برترام توماس أثناء رجوعه من الربع الخالي.

وقد وصل فيلبي إلى سليل نفس المكان الذي مر عنه قبله برترام توماس وولفريد ثيسينغر، ومنها إلى وادي بيشا ثم إلى قرايه، وصايل عن (طريق الفيلة) وصل إلى مكة بعد ثلاثة شهور من خروجه ومع ذلك فلم يستطع قطع الربع الخالي من هذه المنطقة التي قطعنا فيها (رملة الحباك)، والتي تبعد عن طريق هؤلاء جميعاً عدة مئات من الكيلومترات داخل الربع الخالي.

وحاولت أيضاً عدة بعثات أجنبية الدخول إلى الربع الخالي بقصد الوصول إلى مراكز توالد الجراد، وكان الدكتور أوفاروف (العالم المختص بدراسة الجراد) يجزم بأن هذه المراكز منحصرة في مواقع محدودة معينة، وأنه لو قدر معرفة هذه الأمكنة والتحكم بها لاصبح بالأمكان منع الجندب المنفرد من التجمع مرة أخرى وأول عمل يتطلب معرفته هو أماكن الانتشار، واعتقد الدكتور المذكور أن بعضها يمكن أن يكون في جنوب الجزيرة العربية في الربع الخالي، خاصة في وادي (مقشن) حيث تنتهي مجاري المياه الكبرى التي تتدفق من جبال ظفار الساحلية كما تبين ذلك (لتوماس) عندما أجتاز صحراء الربع الخالي.



ولقد شهد فيلبي لبنكر وبويوف من رجال بعثة مكافحة الجراد أنهما قاما بعمل رائع وأنهما أول من رسما خارطة البحر الصافي (*) في قلب الجزيرة العربية على مقربة من حضرموت على الحدود بين السعودية ومسقط وعمان.

ومع تقديري للجهود التي بذلها جميع من عبر صحراء الربع الخالي والصعوبات الكثيرة التي واجهها أولئك الأجانب وخاصة أنهم قطعوها على ظهور الجمال إلا أن أحداً منهم - حتى ولفريد نفسه - لم يتمكن من اجتياز أواسط الربع الخالي خاصة رملة الحباك أهم وأخطر رملة في تلك المنطقة.

ولعل خير دليل على ذلك هو كلام ولفريد نفسه عن سبقه من المكتشفين وكذلك خط سيرهم .

ومما قاله ولفريد ثيسيجر (١):

«فكرت في الرحلة التي قام بها توماس. لقد كان عبوره لهذه الصحراء عملاً جباراً، في عالم الاستكشاف، لا يقل مطلقاً عن عمل اموندس وسكوت اللذين أكتشاف القطب الجنوبي.

لقد برهن توماس على أن هذه الصحراء ليست مستحيلة العبور، وإذا كان قد استعمل أسهل الطرق حيث التلال الصغيرة والأبار المعروفة لدى رفاقة من آل رشيد وإذا كان المسافر في هذه الأيام يعرف هذه الطريق وما ينتظره فيها، فإن ذلك لا يقلل من قيمة إكتشافه، أجل إن طريق فيلبي أصعب بكثير ولكن ينبغي ألا ننسى أن عبد الله فيلبي الذي اعتنق الإسلام كان يلقي مساعدة الأمير سعود بن جلوى حاكم الأحساء مما يسر له أن يمر بأمان عبر مقاطعة عرب بني مرة الأقوياء المعروفين بتعصبهم الديني.

(*) أطلق على هذه الرمال اسم البحر الصافي لصفاء رملها ونعومتها.

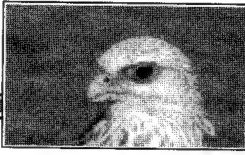
Thesiger, OP. Cit. (١)



أما توماس النصراني فلم يكن هناك من سلطة رسمية تساعد. وأنه لم يقطع الربع الخالي إلا من أطرافه الجنوبية الشرقية والشمالية الغربية متبعاً آبار المياه والواحات الصحراوية.

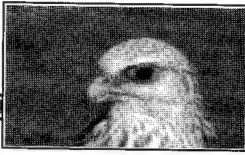
ويلاحظ من كلام ولفريد ثيسيجر أن توماس قد استعمل أسهل الطرق «حيث التلال الصغيرة والآبار المعروفة» ومع أن فيلبي لم يدخل أعماق الربع الخالي كما مر إلا أن ولفريد اعتبر أن طريقه أصعب بكثير من طريق توماس.

وهكذا وبسبب الصعوبات الكثيرة التي تواجه أي أجنبي يحاول دخول الربع الخالي على ظهور الجمال إلا أن أحداً لم يتمكن أحد من الأجانب حتى ولفريد نفسه من اجتياز رملة الحباك التي تعتبر جزاءً من رمال العروق الصعبة العبور. والتي يمكننا القول أننا في رحلتنا هذه أول من قطعها.



صحراء غنيم

تتألف من مجموعة من السبخ المتصلة التي لا ينبت فيها نبات للملحة أرضها.
وتقوم عليها بعض التلال الرملية التي تشبه الاهرامات، وتشتهر بحياتها
الكبيرة السامة التي يخشاها البدو.



واصلنا سيرنا باتجاه العارض، حيث وصلناها مع مغيب الشمس وقد أصبحت السيارات في حاجة إلى تعبئة بترول وتبريد، وكان لابد لنا من بعض الراحة فنزلنا مساءً في سبخة (الشنان) في العارض وهي سلاسل جبال رملية تمتد من الشمال إلى الجنوب وتقوم على أرض سهلة منبسطة.

تناولنا طعام العشاء ونمنا ليلة مريحة بعد تعب مضمّن وكان الجو جميلاً بعد غياب الشمس فقد كانت الحرارة تزداد شيئاً فشيئاً كلما توغلنا إلى الشرق حتى تبلغ أحياناً في النهار ٣٥م في الربيع، وفي الصيف تزيد على ٥٥م.

وفي الصباح واصلنا السير مارين (بالعويرض) حيث الكثبان الرملية أقل ارتفاعاً من رمال العارض، و(سبخة مويره) و(الروس) وبقينا ننتقل من سبخة إلى سبخة حتى وصلنا إلى سهول كانت السيارات تقطع فيها ساعات متواصلة بسرعة فائقة لانبساطها وسهولة السير فيها ليباسة أرضها، مما شجع السائقين على التسابق ابتهاجاً بقطع (رملة الحباك) ودخول صحراء تتهادى فيها الجبال الرملية بحيث أصبحت طريقاً سهلاً إذا ما قيست بالجبال الرملية التي قطعناها.

كنا نسير وراء الدليل عندما دخل بنا طريقاً بين جبال رملية تاركاً الطريق السهل فاستغربت للأمر ولكنه سرعان ما وقف في مكان محاط من جهاته الثلاث بتلال رملية عالية وقال للأمير: هنا يمكننا أن نترك السيارات الكبيرة بعيدة عن الناظرين.

نزلنا هناك بعض الوقت وتركنا إحدى السيارات الثقيلة وحزمنا أمرنا وواصلنا سيرنا حذرين متيقظين لاننا بدأنا نقرب من حدود (السيد) فواصلنا سيرنا في طريق شبه معبد تستعمله إحدى شركات البترول التي وصلت إلى تلك المنطقة تبحث عن الذهب الأسود وكانت تبدو على امتداد الطريق علامات وإشارات خاصة لمسح الأرض وعمليات التفجير التي يجمعون بها المعلومات



الخاصة عن الزيت، ومررنا (بالمفرق) وهو مفترق طرق تصل بين السعودية وحضر موت وظفار. وعلى بعد مائتي كيلو متر جنوبا توجد بئر (ذي عبلوت) الحلوة التي حفرتها إحدى شركات البترول.

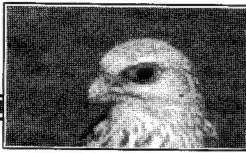
وبقينا عدة ساعات نقطع هذه السباح الواسعة التي تتراءى للإنسان من بعيد وكأنها بحر لاتساعها ولونها الأخضر والأزرق الذي يكسوه شيء من الاملاح البيضاء حتى وصلنا إلى تلال رملية قليلة الارتفاع تسمى (العراقيب)، واصبحنا الآن في صحراء (غنيم) تلك الصحراء التي لا ماء فيها ولا حيوان اللهم إلا الحيات الكبيرة السامة التي يخشاها البدو، ويضطرون لللبس أقمشة صوفية سميكة على أرجلهم يصنعوها من صوف الأبل لاتقاء شرها.

وكان ثيسيجر قد مر بهذه الصحراء في رحلته، ورأى فيها بعض التلال الرملية التي ترتفع إلى مائتي أو ثلاثمائة قدم وترتفع بشكل هندسي عجيب على أرض السباح الواسعة المنبسطة ويسمها البدو (القعد) ولقد رأينا (قعداً) كثيراً أتخذ شكل الهرم حتى ليخيل للإنسان الذي يراه أنه ينظر إلى هرم خوفو الأكبر في القاهرة.

وتعمل الرياح باستمرار في تحريك رمل هذه التلال المرتفعة فتعطيها اشكالاً هندسية مختلفة وبمرور الزمن تتحرك من مكانها مسافات قصيرة وتأخذ هذه التلال ألواناً مختلفة ففيها الذهبي والفضي وفيها البني والأصفر وبعضها فيها أكثر من لون واحد كالليموني مع الكريم والقرميدي مع الأبيض فسبحان رب المهندسين والفنيين الخالق العظيم.

وبعد أن مررنا بصحراء غنيم قال لنا الدليل: هذه (غنيم الشيبة) يعني الشايب الرجل المسن.

فسألته عن غنيم التي مررنا عنها قبلاً.



- فقال : تلك (غنيم الولد).

- فسألته وكم تبعد عنا غنيم الحفيد ؟؟

فضحك وقال لم يتزوج الولد بعد !!!

وفي غنيم الشيبة وبعيداً عن السباح... شاهدت شجر الشنان والهرم الذي ينمو على أطراف الكثبان الرملية وبعض المنعطفات السهلية.

وبعد أن انتهينا من صحراء غنيم الشيبة وغنيم الولد وما تبقى من عائلة غنيم... دخلنا رملة السحمة التي تتصل من الشمال (بأم السموم) أو (الغيران)، ثم تنحني هذه الرمال إلى الغرب ممتدة مسافة تصل إلى ٥٠ كيلومتراً طوياً، وحوالي ٢٠ كيلومتراً عرضاً. وتنتهي عند (رملة المضربة) وقد سميت بهذا الاسم لأن الذي يمشي فوقها يسمع صوت الرمل يتكسر تحت قدميه محدثاً صوتاً.

وصحراء السحمة هي مجموعة عروق رملية متباعدة تتكون من مجموعة من التلال الواطئة ذات الرمل الناعم.. وتمتد شمالاً لتتصل بـ(عروق الشاييه) وقد حاولنا أن نقطع هذه العروق من أكثر من جهة ولكن بدون جدوى مما كان يضطرنا أن نمشي بمحاذاتها مسافة طويلة حتى يتمكن الدليل بسيارته أن يجد طريقاً تستطيع السيارات الدخول منه.

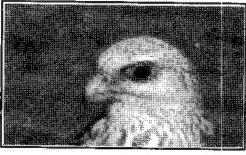
وبالرغم من أن عرض الرملة التي يجب أن نقطعها كانت لا تزيد على المئة متر إلا أنها كانت تحتاج منا إلى أكثر من ثلاث ساعات من الوقت حتى تنتهي جميع السيارات من قطعها.

لم يصادفنا عدد كبير من هذه (العروق) التي لم نر فيها أثراً لحيوان لولا أن سمعت نعيق غراب يحيط به عدد آخر من الغربان يقف على التلال المتباعدة



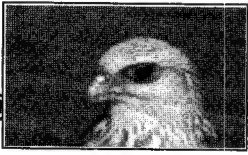
وسألت عن اسم ذلك المكان ف قيل أنها (رملة الغربان) فقلت صدق من سمى إذ لم نر غير الغربان في تلك الرملة.

بعد أن قطعنا رملة السحمة نكون قد قطعنا آخر رملة في الربع الخالي واصبحنا في سهل فسيح هو عبارة عن هضبة ترتفع من ٢٠٠-٣٠٠ متراً هي جدة الحراسيس موطن المها العربي الأبيض وحيث القطيع الذي علمنا بوجوده، واتينا لاصطياده.



جدة الحراسيس وصيد المها

في جدة الحراسيس تنتشر الرياض الغناء التي يكثر فيها المها والغزلان
والحبارى والكدرى وأنواع أخرى من الحيوانات والطيور..
وهي الوطن الام للمها.



وبوصولنا إلى (جدة الحراسيس) أصبحنا على بعد ثلاث ساعات فقط عن البحر العربي، بالقرب من الحدود المشتركة بين ظفار وعمان. وأصبحنا في موطن المها موطن الخطر، خطر قلة الماء، وخطر القبائل، وخطر دوريات (السيد) التي قد تصادفنا ونصطدم معها اصطداماً ما أظن أن عاقبته ستكون سليمة..

بدأت الشمس تميل للغروب وكان لابد لنا من أن نتسريح من عناء السفر، ولكن ما لبثنا أن رأينا (رجاً) -RIG- ، آلة حفر بترول- عالياً من بعيد، فتوجهنا نحوه لنستطلع اخباره ونعرف من فيه ولنكون بمأمن قبل أن نحط للراحة وصلناه بعد الغروب بقليل، فوجدناه مهجوراً، تركته شركة بترول ساحل عمان منذ سنوات كما تبين من بعض الأوراق التي رأيناها هناك.

وكم كانت دهشتنا عندما رأينا آثار وضيحي بالقرب من برج الحفر، وكأنه جاء ليستطلع الخبر مثلنا فاستبشرنا بهذا الأثر خيراً، ثم توجهنا إلى حيث سبقنا أخواننا ونزلوا في مكان قريب من هذا الرق، فيه بعض الشجر الذي لابد منه لاعداد الأكل والقهوة والشاي.

جلسنا نستريح في هذا السهل الفسيح الذي يسمى «سيح هجمة» ويلفظها البدو (هيمه) بإبدال (الجيم) بالياء وقد زكمت أنوفنا واغبرت وجوهنا واكتست اجسامنا بطبقة من التراب الناعم الأسود الذي يختلف عن الرمل النظيف الذي كان يكسونا ويرافقنا قبل دخول جدة الحراسيس.

استرحنا لحظات ثم واصلنا السير باتجاه الرياض المنتشرة في هذا السهل الفسيح، ورأينا ما لا يخطر على البال في هذه الرياض الجميلة المخضوضه والمعشوشبة والتي تزينها الاشجار الجميلة والأزهار المتعددة الالوان، والتي تشدو على أغصانها أنواع مختلفة من الطيور ذات الالوان البديعة ويسرح بين اشجارها أنواع مختلفة من الحيوانات، مثل الغزال، والأرنب، والمها العربي



الأبيض (الوضيحي).

وصلنا إلى هذه المنطقة التي تنتشر فيها الرياض الباسمة بعد رحلة مضية قاسينا خلالها الحر الشديد والبرد القارس، والغبار المزعج وكان هذا ثمن الصبر والمثابرة.

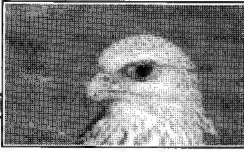
هنا في هذه الرياض يقيم الوضيحي، في جناته الجميلة، وروضاته الناضرة، آمناً هادئاً قبل أن تأتيه فرق الصيادين بينادقهم القاتلة التي أدت إلى فناء هذا الحيوان الجميل. وكنا نحس ونحن نتوجه للامساك بهذا الحيوان أننا فرقة انقاذ له من أولئك القتلة، ولكن على حساب حريته في هذه الجنات والروضات.

نزلنا في إحدى تلك الروضات، وبدأنا بتجهيز فرق المطاردة للقطيع الذي تحدد عدده وشكله وامكنته بوساطة البدو الخبراء في هذا الفن.

جهزنا أربع سيارات للصيد إنقسمت فريقين كنت مع الأمير في سيارة (نيسان) ومعنا سيارة أخرى بك أب ومعنا عدد من البدو الذين يمسون الحبال ويراقبون من فوق السيارات في الرياض وأنا ممسك بالكاميرا السينمائية التي كنت أتمنى أن أستطيع تصوير الوضيحي بها وهو يطارد حتى يمسك حيا.

وما هي إلا دقائق حتى قفز من إحدى الروضات قطيع من الغزلان ثم ثان وثالث ولم نعد نمر عن روضة إلا ويقفز منها عدد آخر من الغزلان التي لم يكن هدفنا اصطيادها والتي كانت تقف وتنظر إلينا مشدوهة مستغربة من منظرنا ومنظر السيارات وكأنها ترى هذا لأول مرة فاصطدنا منها عدداً للغداء ثم تركنا صيد الغزلان وواصلنا التفتيش عن الوضيحي.

وبينما كنا ننظر إلى قطيع من الغزلان قفز من إحدى الروضات، وإذا بمهابة وابنتها تركضان مع الغزلان، وما كدنا نراهما حتى هب الأمير بالسيارة بسرعة كبيرة كانت معها السيارة تطير في السماء وتنزل وتعلو وتهبط حتى صرنا على بعد امتار منها، فتمهل عندئذ بالسير، وقال لي: الآن صور يا رفيق...

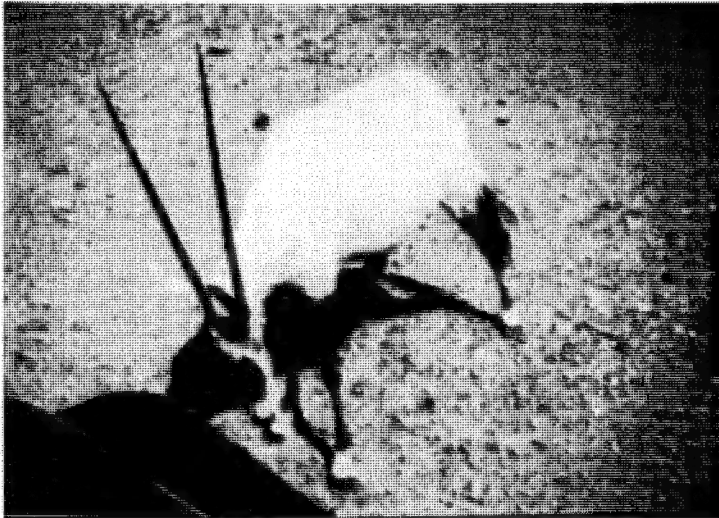


أخذت التقط الصور براحة واطمئنان إذ لم يكن يعترضنا شيء من الحفر أو المرتفعات وكانت الأرض من حسن حظنا سهلة منبسطة، مغطاة بالحجارة الصغيرة، وكم كنت سعيداً وقد تحققت امنيتي في تصوير هذا الحيوان النادر وهو يركض أمامنا والبدو في السيارة يرمون عليه الحبال لتمسك في قرونه على طريقة (الكابوي) ولكنه كان يروغ منها ولا يلبث أن يعود للسيارة فيضربها ضربة عنيفة كنا نخشى أن يؤذي نفسه منها أو تقتله السيارة وهي مسرعة خلفه.

ولكن الأمير كان يروغ بالسيارة عنها، فتذهب ضربتها سدى ومع ذلك فقد ضربت السيارة عدة ضربات جانبية تركت أثارها عليها.

وبعد أن تعبت منها وخفضت السرعة استطاع أحدهم أن يضع حلقة الحبل في قرنيها الطويلين وأن يشدها نحو السيارة بقوة ومد الأمير يده وامسك بقرنيها وما لبث أن قفز أحد البدو من السيارة وامسكها من قرنيها وأنا مستمر بالتصوير ولا أكاد أصدق نفسي أنني أفعل ذلك.

أما ابنتها الصغيرة فقد هربت إلى ناحية أخرى وتبعتها السيارة (البك اب) وما هي إلا دقائق حتى وصلت تلك السيارة ومعها (الغضيض) الوضيحي الصغير.



مهاة تقف وقفة تحدي امام السيارة قبل امساكها



مهاة ترضع ابنتها في جدة الحراسيس

وبعد أن أخذ الجميع يهنئ بعضهم بعضاً بهذا التوفيق، ربطنا أرجل المهاتين وارسلناهما في إحدى السيارات إلى الروضة حيث نزلنا صباحاً ثم تابعنا نحن سيرنا نفتش عن أخرى وما هي إلا لحظات حتى خرج من إحدى الروضات ثلاث مهوات تحركت وكأنها كتل من ثلج لشدة بياضها ووضوحها في الشمس (وقد تكون سميت بالوضيحي لهذا السبب) فتبعنا نحن الأنثى، وتسمى (نعجة)، وتبعت السيارة الأخرى الذكر ويسمى (ثور) وهرب (الغضيض) الصغير.

ولقد زاد اهتمامنا بصيد الأنثى (النعجة) لأنها تتوالد في مزرعة الأمير في شمال قطر حيث سنقلها هي والصيد لينعم بالعيش الهنيئ ولكن بلا حرية! مع عدد آخر موجود هناك، كان قد اصطاده الأمير في مرات سبقت.

ظلت السيارة تطاردها حتى امسكنا بها في مدة أقل من المدة التي امسكنا فيها المها التي قبلها.

ثم ذهبنا نتبع السيارة الأخرى فوجدنا أنها لا زالت تطارد ذلك الثور



العنيد، فاشتركتنا معها في مطاردته بعد أن أنزلنا المها التي معنا، وأخذ الثور ينطح السيارة بقرنيه الطويلين فيصدم جسمه بها ثم يستمر بالركض وأخيراً تقدم من إحدى السيارات وضربها ضربة أدت إلى كسر رجله ويده.

وقف يلهث ويتحدى، والحقيقة أن أحد لم يجرؤ على الأقتراب منه خاصة بعد أن تقدم إلى إحدى السيارات فقفز على إحدى عجلاتها وضربها باحدى قرنيه ضربة أخترقت العجل من جهتيه (فينشر) لتوه فنزلنا وامسكنا به وكنا ثلاثة ولكننا لم نستطع أن نطيح به على الأرض بسهولة لقوته وشدته بالرغم من أن رجله مكسورتان وجسمه فيه ضربات شديدة.

ذبحنا الوضيحي وحملناه في السيارة وبقينا ننتقل من روضة إلى أخرى وكلما رأينا مهاة أو قطيعاً نمسك منه ما نستطيع حتى لم يعد معنا متسع في السيارة فقررنا أن نعود للعنة (الروضة التي نزلنا فيها) وما كدنا نصلها حتى استقبلنا أخواننا بالفرح والاهازيج وما هي إلا لحظات حتى عادت السيارتان اللتان افترقنا عنا أول النهار محملتين بالوضيحي، فكان مجموع ما اصطدناه اثني عشر واحداً بين ثور ونعجة.

حقاً أنها رحلة جميلة فقد توجت بالصيد الوفير وحقق الله امنيتنا بصيد أكثر مما كنا نتوقع من المها، ذلك الحيوان النادر الذي تشد إليه رحال الصيادين ولكن ليس كل من شد رحاله إليها حصل عليها..



المها العربي الابيض

(الوضيحي - بقر الوحش)



المها العربي الأبيض (الوضيحي)

عندما يذكر المها تنطلق خيالات الإنسان العربي شاباً وشيئاً إلى عيون الحسان التي تشبه دائماً بعيون المها، ويبدأ من يسمع باسم المها ترنيم ما قاله الشاعر العربي علي بن الجهم القرشي :

عيون المها بين الرصافة والجسر	جلبن الهوى من حيث ادري ولا ادري
اعدن لي الشوق القديم ولم اكن	سلوت ولكن زدن جمرأ على جمر
خليلي ما احلى الهوى وامره	واعرفني بالحلو منه وبالمر
وافضح من عين المحب لسره	ولاسيما ان اطلقت عبرة تجري

وقد عرف العرب المها باسماء مختلفة فالمهاة في الاصل البلورة، ومن اسمائها :

(البقر الوحشي) ويمتاز عن البقر الأهلي بأنها أصغر جسماً منها واشد قروناً واسمها ايضاً (الوضيحي) وذلك لشدة بياض لونها ووضوحه خاصه في الصحراء، و(ابن سولع) كما يطلق اسم المها على الانثى والذكر، والمفرد والجمع، إلا أن العرب تسمي احياناً الانثى نعجة، والذكر ثور، كما ويجمع الاسم مهاة إلى مَهَوَات. ويسمى وليد المها الطلا والطلو، والجوذر والفرقد ويطلق على اسم القطيع من المها : السَرَب، والرَبْرَب^(١) .

(١) صبح الاعشى، القلقشندي. وكذلك :

الحيوان للجاحظ، والحيوان للدميري. وكذلك المخصص لابن سيدة، ولسان العرب لابن منظور.



والمها ذات عينين نجلوين سوداوين حتى أنه ليضرب المثل في حسن عيونها
وسوادها لها علامات بنيّة غامقة على الوجه والصدر والسيقان وخصلة شعر
اسود على طرف الذيل وخط بني باهت على جانب من الجسم، وجسمها متناسق
جميل، وهي اجمل ماتكون في موطنها الاصلي في الصحراء.

وقد شبه الشاعر زهير بن أبي سلمى صاحبتة (بالمها) في مجال العينين
ورقة الجسم فقال :

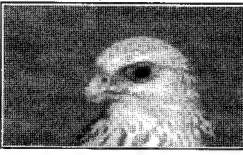
تنازعها المها شبهاً ودر المنحور وشاكت فيها الطباء
فاما ما فوق العقد منها فمن ادماء مرتعها الخلاء
واما المقلتان فمن مهاة وللدرد الملاحاة والصفاء
ووصف العرب المها بالاباء والشجاعة والاقدام والجراه والحمية والكبرياء
بالاضافة إلى الجمال، وهي في مشيتها تتبختر بخيلاء، وقد وصف احد
الكتاب الاندلسيين المتأخرين قطع المها في رسالة طردية قال:

«عنّ لنا سربٌ نعاج يمشين زهواً كمشي العذارى، ويتثنّين زهواً تشني
السكرارى، كأنما تجلل بالكافور جلودها، وتضّمخ بالمسك قوائمها وخدودها،
وكأنما لبست الدّمقس سريالاً واتخذن السُنْدُسَ سريالاً»^(١).

وتزن المهاة حوالي ١٢٥ كيلو غراماً وبلغ ارتفاعها عند مستوى الكتف ٩٠
سم، كما يبلغ طول كل قرن من قرنيها حوالي ٩٥ سم ويكون احياناً قرني
الانثى اطول من قرني الذكر وهي تستعمله في الدفاع عن نفسها وعن وليدها.

وكان المها العربي الابيض - الذي هو موضوع حديثنا - يسكن في معظم
مناطق جزيرة العرب وكذلك في مصر منذ اقدم العصور. وقد وجدت معلومات
منقوشة على بعض مقابر المصريين القدماء، تفيد بأن المها كان موجوداً في

(١) نهاية الارب للنوبري ٣٢٢/٩.



مصر منذ خمسة آلاف عام، كما افادت المعلومات الاثرية التي وجدت على بعض اوراق البردى وعلى بعض المقابر المحفورة في جبال بلدة بني حسن - بجوار - مدينة المنيا - والتي يرجع تاريخها إلى ٤٠٠٠ عام، إلى وجود المها بكثرة في تلك المنطقة ولعل هذا ما دعا إلى تسمية محافظة بني حسن في ذلك الوقت بمحافظة الاوريكس (OPYX) وهو اسم المها، وكان المصريون القدماء يقتنون المها ويدجنونها ويربونها بالاضافة إلى أن الحكام كانوا يباهون بصيدها^(١). وقد نقل عن عالم التاريخ المشهور ج. هـ. بريستيد معلومات تفيد أن المها كان موجوداً في مصر قبل عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد بالالف السنين (٢)

وعرف المها في جزيرة العرب في عصور قديمة جداً، وكان متواجداً في مختلف المناطق بين العراق والشام والخليج العربي واليمن وانحصر أخيراً في المنطقة الجنوبية الشرقية من المملكة العربية السعودية بين عمان واليمن، وهو من الحيوانات المهددة بالانقراض إذ لم يبق منه اليوم اي حيوان وحشي.

وعرف العرب في الجاهلية المها، ووصفوه في اشعارهم كما فعل قيس بن الخطيم وعمر بن ابي ربيعة، وامرؤ القيس وابن المعتز، والاخلط، وبشر بن خازم. وقد روت كتب السيرة^(٣) أن الرسول ﷺ عندما قام بغزوة تبوك، ارسل خالد بن الوليد في اربعمائة وعشرين فارس إلى اكيدر بن عبد الملك الكندي صاحب دومة الجندل، وقال له الرسول ﷺ : انك ستجده يصيد البقر، فخرج خالد حتى إذا كان من حصنه اكيدر بمنظر العين في ليلة مقمرة صافية، رأى اكيدر بقر الوحش تحك بقرونها باب القصر.

(١) الدكتور سليمان محمود سليمان، المها الابيض العربي قديماً وحديثاً، الدوحة، ١٩٧٦م، ص ١٩.

(٢) راجع : Gardiner, A./ Egypt of the pharoahs Clarinolon Press, Ox-tord, 1961.

(٣) سيرة ابن هشام القسم الثاني، مؤسسة علوم القرآن - دمشق، بيروت، ودار القبلة للثقافة



فقال اكيدر لامراته: هل رأيت مثل هذا قط؟ قالت: فمن يترك هذه؟ قال: لا احد. فنزل فامر بفرسه فأسرج له، وركب معه نفر من اهل بيته فيهم اخ له يقال له حسان، فركب وخرجوا معه بمطاردهم، فتلقتهم خيل خالد بن الوليد فاخذت اكيدر اسيراً، وقتلت اخاه حسان.

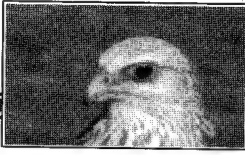
وهكذا ارسل الله سبحانه المهورات (بقرات الوحش) إلى اكيدر لاستدراجه للخروج من الحصن، وصدق رسول الله ﷺ في قوله لخالد سنجده يصيد البقر. وفي هذا قال الشاعر:

تبارك سائق البقرات اني رأيت الله يهدي كل هادي
فمن يك حائداً عن ذي تبوك فانا قد امرنا بالجهاد

وصيد المها من جليل الصيد عند العرب وهي مما يصاد بالطرد على الخيل ويقال أن أول من طردها ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان فإنه أول من ركب الخيل على قول، ولما ركبها رأى بقرة وحشية فطردها فلجأت إلى مكان يستطيع اخذها منه فرق لها وتركها. كما وتصاد بواسطة الكلاب وقد تعان عليه بواسطة العقاب^(١).

ويعيش المها جماعات قد يصل عدد الجماعة إلى مائة مهاة، ولكنها تكون في الغالب عشرة ويتكون من اعداد متساويه - تقريباً - من الذكور والإناث ويكون لكل قطيع رأس وأمير وقائد يقودها ويوجهها ويدافع عنها، ولكنه يمارس دكتاتوريته عليها ويعطي لنفسه امتيازات خاصة، فهو أول من يأكل حتى يشبع وأول من يشرب حتى يرتوي، وأحياناً يمنع غيره من الاكل والشرب. وقد اخذت هذه الصفات بعين الاعتبار عند اعادة توطين المها وحفظه، إذ يضع المشرفون عليه الطعام والماء في عدة امكنة ليتمكن جميع القطيع من الاكل والشرب، كما سيأتي تفصيله فيما بعد.

(١) الباشا، الصيد عند العرب، مصدر سابق، ص ٢٠٢.



وإذا اختلط قطيعان، أو دخل ضيف جديد من الذكور على المجموعة، تبدأ معركة طاحنة بين القادة وجهاً لوجه، وقرناً بقرن، لانتتهي المعركة إلا بانتصار أحدهما والاعتراف بقيادته ويتم عادة وضع كل في مرتبه معينه ومنها مرتبة السيدة الأولى للقطيع التي تعتبر المحظية الأولى عند الثور الأول قائد القطيع ولها أحقية الحصول على الطعام والماء معه دون سائر القطيع.

وتعتبر المهاة من اشد الحيوانات حرصاً على وليدها، تدافع عنه حتى الموت امام الوحوش والسباع فاما ان ينجو وليدها أو تهلك دونه «ويعتقد البعض أن المها المكتمل النمو قد يتغلب على اسد»^(١).

وتسكن المها في الارض المستوية قليلة المرتفعات ولا تسكن الجبال، وهي لا تشرب إلا الماء الصافي، وتصبر على العطش عدة شهور وربما سنوات^(٢) وتعتمد في سد حاجتها من الماء على الندى، والنباتات العصيرية التي لديها نسبة عالية من المياه في اوراقها^(*) كما وان لونها الابيض الناصع يعكس اشعة الشمس فيقل تبخر المياه من جسدها، وهي تحفر في الرمال من اجل دفن جسمها في الرطوبة، كما وأنها تكتفي احياناً باستنشاق الريح الذي يحتوي على نسبة من الرطوبة.

ومن طبيعتها أنها إذا رأت برقاً أو سمعت رعداً ظلت تركض مسافات طويلة في الصحراء إلى أن تأتي المنطقة التي رأت فيها البرق أو الرعد وذلك لأن الأرض التي ينزل عليها المطر تصبح مرعى ممتازاً لها ولغيرها من الحيوانات الأخرى..

ومع أن المها قد يمر عليها عدة سنوات من غير أن تشرب الماء لعدم توفره في

(١) راجع احمد محمد غندور، مصدر سابق، ص ٥٩.

(٢) نفس المصدر، ص ٤٨.

(*) يأكل المها في بيئته الاصلية في جدة الحراسيس نبات الزهر، والعبل، والسدر والارطاة، والسمر، والرمرام،



الصحراء إلا أننا حينما كنا نفتح بطن أحداها نجد مملوءاً بكميات كبيرة من المياه التي يستخلصها من الأعشاب والنباتات التي يأكلها..

ولذلك يعتمد البدو إلى الاستفادة من هذه المياه التي في بطنه ومعدته عند حاجتهم إلى المياه فيعلقونها ويثقبونها ثقباً صغيراً بشوكة فيأخذ الماء بالنزول شيئاً فشيئاً فيشربه البدو كما كانوا يشربون المياه التي في معدة الجمال حينما يملأون بطونها منه، فإذا ما احتاجوا لشيء من الماء فتحوا فم الجمل ووضعوا فيه خشبة فيندفع الماء من بطن الجمل إلى وعاء على الأرض، وهكذا يتغلبون على قسوة الحياة في الصحراء ولولا ذلك لهلكوا عطشا خاصة من تعود منهم شرب الماء.

ويشرب البدو عصارة معدة المها لاعتقادهم أنها تشفى الجسم من جميع الأمراض والعلل ويسمونها (الغضة) ولقد أبى أحدهم إلا أن يتكرم على ويؤثرني على نفسه فيسقينني من هذا الترياق ولكن رائحته الكريهة جداً، التي تشم على مسافة أمتار جعلتني أرفض مؤكداً للأخ العزيز أن صحتي جيدة والحمد لله ولا يوجد في جسمي أي مرض يستحق من أجله أن أشرب هذه (الغضة).

وقد تحدثت كتب الحيوان عن فوائد المها وخواصها للعلاج. وافردوا أجزاء المها بالحديث عن خاصيتها ومنافعها فقال القزويني عن المها بأن لحمه يفيد المريض بالفالج، وأن جلدة وقرنه إذا دخن في البيت تهرب منه الحيات والعقارب وأن دمه يصلح لعلاج عسر البول، وشعره تهرب منه الفئران^(١).

هذه لمحة خاطفة عن المها الذي قطعنا للوصول إليه الصحاري والقفار وركبنا الاهوال والأخطار وكان لا بد بعد كل هذا أن نعود مسرعين ونحافظ على حياته حتى يصل إلى قطر حيا ويعيش مع أخواته المرفهين في مزرعة الأمير.

(١) القزويني، زكريا بن محمد بن محمود القزويني، هامش كتاب حياه الحيوان الكبرى للدميري، مصدر سابق الجزء الأول، ص ٢٠٢.



فما كدنا نتناول طعام العشاء حتى تقرر أن نغادر ليلاً لئلا يأتينا في الصباح من يعثر على آثار السيارات من الدوريات في تلك المنطقة التي قد نلتقي معها لقاء اشك أن يكون ودياً..

أخذ الجميع يحزم الأغراض ويضعها في السيارات استعداداً للعودة وبينما نحن كذلك إذاً باصوات تنادي علي:
استاذ استاذ استاذ

فقلت أركض ومعني شنته الاسعاف متوقعا أن أجد أحدهم مجروحاً جرحاً بليغاً أو ملدوغاً من حية أو عقرب إذ كنت أقوم بأعمال الطبيب في الرحلة.
وكم كانت دهشتي عظيمة عندما وصلتهم فوجدت أن المسئول عن اللاسلكي(*) ممدداً على الأرض لا حراك فيه مغمض العينين لا يكاد يتنفس. فسألت عما حصل له. فقالوا:

« لا ندري لقد وجدناه هكذا في السيارة بالقرب من جهاز اللاسلكي وربما يكون قد أؤذي من الكهرباء... ».

أخذت ادلك له صدره وأجري له تنفساً اصطناعياً واناديه ولكن لا مجيب فاجمع البدو على أنه أصيب (بمس) وأن هذا يحصل مع الكثيرين منهم فقد حصل مع ابن فلان وابن فلان وأن علاجها الوحيد هو (الكي) بالنار على أعلى الرأس وفي الحقيقة أنني خفت على المريض ووقفت مستسلماً أنا وشنطة الأسعاف.. أمام هذه المصيبة التي ليس لها مخرج.

ولكن من حسن الحظ أن بدأ يفتح عينيه شيئاً فشيئاً خاصة عندما سمع (بالكي) وظل في تحسن مستمر كلما زاد اصرار البدو على كيه بالنار إلى أن شفى تماماً والحمد لله وكانت حديدة الكي قد أحمرت وكادت تشوي رأسه..
حمدت الله على أن لم نحمل معنا صيداً من أنفسنا وسألته أن يوفقنا في

(*) كان عامل جهاز اللاسلكي أحد الاخوة من رعايا الدول العربية ممن لم يسبق له دخول الصحراء.



رجوعنا فنحن نبعد مئات الأميال عن قطر، ونحتاج إلى عدة أيام حتى نصل، هذا إذا سرنا سيراً متواصلاً- لذلك كان لابد من اتباع اقصر الطرق للرجوع وأخذ الادلاء يتناقشون في أحسن طريق، واقترحوا أن نسير في اتجاه وادي مقشن، ومنه نواصل سيرنا إلى قطر.



العودة إلى الدوحة



إلى وادي مقشن

حزمنّا أمرنا وسرنا متوكلين على الله باتجاه وادي مقشن ذلك الوادي الفسيح الذي يعتبر ملتقى للسيول التي تنزل من جبال ظفار.

غادرنا جدة الحراسيس وخلفنا وراءنا الرياض بما فيها من أشجار جميلة يعيش فيها المها، ودخلنا جدة (أشبهان) التي سميت بهذا الاسم لأنه يشبه بها البدو لتمييزها عن غيرها من معالم الأرض إذ تعتبر صلة الوصل ما بين جدة الحراسيس ووادي مقشن والتلال المحيطة.

ودخلنا وادي مقشن ذي الأرض السهلية الواسعة التي تتناثر عليها الحجارة الصوانية الضخمة التي جرفتها السيول من الجبال.

وقد تحاشينا المرور على (عين مقشن) ذات الماء الحلو رغم حاجتنا الشديدة للماء، وذلك لوجود مركز شرطة تابع لحكومة السيد - السلطان سعيد بن تيمور -.

وقد توجهنا أول الأمر إلى الجنوب الغربي متخذين بعد ذلك طريق السيل السهلة، وذلك لنتحاشى المرور في صحراء (الدقاقة) ذات الرمال الوعرة، وقد سميت بهذا الاسم لأن رمالها عبارة عن مجموعات متصلة من الكومات الرملية الصغيرة (المددقة) وقد اعتبر بيرترام توماس هذه الرمال (الدقاقة) «من أهم وأكثر المشاكل التي واجهها في رحلته إلى الربع الخالي»^(١)، وأخذت السيارات تتسابق في هذا السهل الذي خلفته سيول الشتاء، حتى لم نعد نرى سيارات المقدمة لبعدها وانتشارها بين شجر (الغاف) الذي يغطي الوادي.

وتنتشر حول هذا الوادي التلال الرملية العالية كالجبال والتي تأخذ أشكالاً هرمية مختلفة، كما وتكثر في هذا الوادي أيضاً الأرناب بشكل ملحوظ، حتى ليخيل للمرء أنها اليفة، لوداعتها.

(1) Thomas Bertram, Arabian Felix: Across the Empty Quarter of Arabia, Readers Union Ltd. London, 1938, P. 188.



وقد علمت أن البدو من آل كثير الذين يسكنون تلك المناطق يحرمون صيد الأرانب هناك، لأنهم يعتقدون أن جميعها من الجن!! بينما يصطادون غيرها من الحيوانات البرية مثل الطباء الحمر التي تكثر هناك ويسمونها (الادم). ويسمون غزلان الرمال (الريم).

كما وتكثر في هذا الوادي الحيات البيضاء السامة ذات القرون البارزة. وأخيراً انتهينا من وادي مقشن، وادي الأرانب الجن!! والحيات، وشجر الغاف، ودخلنا منطقة رملية أخذت في الارتفاع شيئاً فشيئاً لأنها مجرى السيل إلى الوادي، وقد مررنا على عين ماءها حلو بسبب تجمع السيول من ماء الأمطار وهي عين (أبو القردان).

واصلنا صعودنا مع طريق السيل، وبعد ساعتين ادركنا (وادي الملحيت) ثم بئر (الخزف)، وهي بئر تحفظ مياه الأمطار لمدة ٦ شهور من السنة..

وبعد مسيرة خمس ساعات وصلنا إلى نقطة التقاء فرع السيل الذي نسير فيه، بفرع سيل آخر عرضه حوالي نصف كيلومتر، تنتشر على أرضه الحجارة الصوانية الكبيرة، وجذوع النخيل، والأخشاب.

وبعد مسيرة عشر دقائق أثناء قطع مجرى النهر عرضاً باتجاه الغرب مررنا على (حزم) أرض سهلية، فيها كثير من شجر العبل والأثل والعراد.

ثم واصلنا سيرنا لمدة ساعة إلى أن وافينا مجرى سيل آخر، لا يلبث أن يلتقي بباقي السيول التي تصب بوادي مقشن وأرض هذا السيل ناعمة لينة، كانت تسير السيارات فيها بصعوبة كبيرة، وتخلف وراءها غباراً يمنع الرؤيا عما وراءها من السيارات.

وقد كانت هذه الأماكن موطناً للمها (الوضيحي) ولكن كثرة الوافدين



لصيده هنا جعله يهاجر إلى أماكن أخرى مثل جدة الحراسيس التي لا يسهل على الإنسان الوصول إليها.

استقبلنا بعد ذلك وادي (ميتن) المشهور بكثرة شجر الرمرام الذي ينتشر فيه وهو طعام المها المفضل، سرنا في أرضه السهلية لمدة ساعة، تاركين الحزوم والرمال الصعبة على يميننا، حتى وصلنا إلى وادي (شعيت) ملتقى العديد من السيول.

وكنا كلما سرنا مسافة شعرنا بأن الرمال ترتفع على الجانب الأيمن قليلاً قليلاً وتلتف من أمامنا شيئاً فشيئاً حتى وصلنا إلى وادي (عربة) وهو لا يختلف عما مررنا به من وديان.

وقد كانت تتراءى لنا التلال وكأنها غابات كثيفة لكثرة الأشجار الصحراوية التي تغطيها، وما كدنا نخرج من وادي عربه حتى دخلنا أرضاً سهلية عريضة وهي مجرى سيل قال لي أحد البدو القاطنين هناك، أنه يحتاج إلى عشرة أيام على الجمل حتى يصل إلى آخره، ويسمى هذا الوادي، وادي (ضحية).



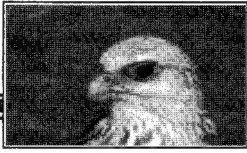
أم المراهي

وصلنا تلة أم المراهي والمراهي هي الطواحين التي تستعمل لدق الحبوب، وهي حجارة صوانية، وقد سميت هذه التلة الكبيرة بهذا الاسم لأنه عثر فيها على عدد كبير من هذه الطواحين الأثرية التي يعتقد بأنها كانت تستعمل منذ عصور قديمة جداً.

وقد احاط سيل (وادي ضحيه) حول هذه التلة، وجعلها تقف شامخه على أرض سهلية، تحكي للداخلين إلى الربع الخالي قصة تاريخ قديم، عن شعب سكن هذه البلاد وكان له شأن يذكر ولكننا مع الأسف لا نعرف عنه شيئاً. ولا ندري بعد كم من الزمن سنسمع من علمائنا شيئاً عن أولئك العرب الأقدمين.



مدقه (هاون) اثري قديم
وجد في صحراء الربع
الخالي.



ومن أغرب ما يلاحظ المرء في (تلة أم المراهي) تلك الطرق (الجوادي) - كما يسميها البدو- ذات الأرض الصلبة المرصوفة بمادة صلبة كأنها حجارة اسمنت، يعتقد البدو أنها طرق كانت تسير عليها الأغنام أثناء دخولها إلى اقبية موجوده منذ القدم داخل رمال تلك التلة.

ويوجد عدد كبير من (الودع) أو الزلف (نوع من المحار والاصدف البحرية) ولعل هذه تحكي قصة قوم كانت لهم صناعة، أو هي بقايا حيوانات بحرية تدل على أن هذه اليابسة كانت مغطاة بالبحر منذ عصور التاريخ القديمة، ولكن وجود آثار كثيرة مثل الحلقات الزجاجية التي كانت تستعمل للزينة، على ما يبدو، يرجح أن تلك الأصدف كانت منقولة من مناطق بحرية بعيدة إلى تلك الديار، لاستعمالها في صناعات معينة.

وتكثر في هذه التلة الحجارة الصوانية الكبيرة الكثيرة ذات الحلقات المتسعة التي يظن بأنها كانت مرابط للخيل والحيوانات الأخرى.

وينتشر فوق تلك التلة كمية من الحجارة السوداء التي يرجح بأنها من خام الحديد.

كان بودي أن أبقى مع البدو أطول مدة ممكنة، في تلة أم المراهي المشهورة لاطلع على عجائب ما فيها، ولكن حرصنا على الاسراع بالعودة مع الصيد سالما، لم يتح لنا فرصة التجوال فيها مدة طويلة. والتعرف على الآثار في هذه المنطقة إذ أن الربع الحالي يحتوي على آثار كثيرة سأعطي القارئ فكرة موجزة عنها فيما بعد.

تركنا أم المراهي هذه ليقف في طريقنا جبل رملي كبير يسمى (المبتور) لأن السيل قد بتر من جنبه جزاء كبيراً.

وعلى ذلك الجبل شجرة كبيرة من (الاراك) التي يؤخذ منها السواك، والتي

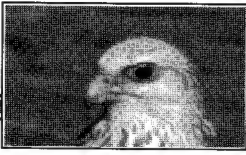


يظن بأن السيل قد حملها معه من جبال ظفار إلى هذا الجبل الرملي وعاشت فيه رغم أنه من الصعب أن يعيش مثل هذا الشجر هناك.

ويستظل من يعيش هناك من البدو مع حلالهم، في ظل هذه الشجرة الكبيرة، كما تعتبر موئلا للغزلان، حينما يؤذيها الحر ولا يكون أحد تحتها من الناس.

بدأنا ندخل الان رمالا صعبة وهي عبارة عن تلال مستطيلة متداخلة تسمى (بالعروق) وتتصل هذه العروق بصحراء الدكاكه الشهيرة والتي تعتبر امتدادا لصحراء الحباك من جهة الشرق التي قطعناها أثناء حضورنا من الدوحة. وتتصل صحراء الدكاكه من جهة الغرب بصحراء القعاميات.

ومع أننا صادفنا بعض الصعوبة في قطع تلك العروق، إلا أننا خرجنا إلى رمال سهله نسبياً، وجدنا فيها بقايا بيض نعام مكسور يرجع عهده إلى عشرات السنين إذ أن النعام العربي قد انقرض من الجزيرة العربية منذ أكثر من نصف قرن ويقوم فوق تلك الأرض تل رملي كبير عال جداً يسمى (زيمه) وسمى بهذا الاسم لأنه زايم (أي مرتفع عن الأرض) وبعد هذا الزايم تابعنا سيرنا في أرض سهلية يغطيها شجر الحاذ حتى وصلنا إلى (قلمه فارس) أي بئر فارس، وهي إحدى الآبار التي حفرتها إحدى شركات البترول كبر (أبو قرون) التي سبق أن تحدثنا عنها.



أم الحديد

دخلنا أرضاً ذات رمال حمراء فيها عدد من الكثبان الرملية تتوسطها (قلمه خور الجحيش) وهي عين ماء حلوه حفرتها إحدى شركات البترول، وانتقلنا لأرض أخرى منبسطة لا يقل طولها عن مائتي كيلومتر تنتهي بعين ماء تسمى (أم الحديد).

وقد سميت بهذا الاسم لأنها تقع على مقربة من كتلة ضخمة من الحديد، تتخذ شكل تمثال غير واضح الملامح وخلفها آثار قصر مبني من الحجارة التي تشبه الطوب، تظهر بعض جدرانها من الرمال المتراكمة فوقه، ويبلغ طول أحد الجدران الظاهرة حوالي ٤٠ قدماً.

ويروى أن البدو قبل بضع عشرات من السنين كانوا يرون آثار أقدام أغنام في الطين المتحجر الذي يرجع عهده إلى عصور قديمة يظن بأنها ترجع إلى زمن عاد التي ورد اسمها بالقرآن الكريم.

وقد قال البدو مرافقوا ولفريد ثيسغر ص ٢٣٧ عن مدينة عاد.

«وفي ما اعلته (صدر) اسم أحد مرافقية من البدو كانت تقع أكمات بئر (منخلي) التي يعتقد البدو أنها كانت آبار بني عاد في نهاية (العرض الجنوبية).

ومدينتهم عاد المفقودة تحت صحراء جهمان، وهي على بعد يوم آخر إلى الجنوب.

أما محمد (اسم أحد البدو المرافقين) فكان واثقاً من أن هذه المدينة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم والتي ابيدت بسبب الفساد مدفونة في الصحراء شمالي (حبروت)».



وروى البدو أنهم كانوا يعثرون على عدد من (الجرار) التي كان يستعملها الأقدمون للماء كما ويوجد بعض آثار للمواقد التي يرجع عهدها إلى عاد إن صحت الروايات.

ولا تزال هناك بعض القنوات التي تستعمل لتوصيل المياه إلى القصر ظاهرة من الرمال مما يدل على أن هذا المكان كان موطناً لجماعة من الناس عندهم بعض الحضارة يظن أنهم ممن عاصروا ملكة سبأ التي كانت تسكن في اليمن على بعد مئات من الأميال.

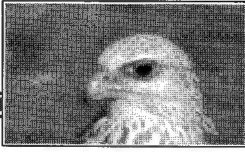
وقد تحدث فيلبي في عدة صفحات عن (أم الحديد) وسمع من البدو إنها بقايا مدينة أحرقت بالنار، وكان توماس قد وصلها عام ١٩٣١م، ووصفها في كتابه الذي مرّ ذكره^(١). ويعتقد فيلبي أن الجدار المحروق والظاهر من الرمال ماهو إلا بقايا بركان قديم وليس مدينة تاريخية محروقة^(٢).

غادرنا أم حديده وواصلنا السير في أرض منبسطة سهلية واسعة وصلنا بعدها إلى زعيزع التي يقع إلى الغرب منها (جوب العصل) وهو مكان فيه نوع غريب من الشجر (طلعها كأنه رؤوس الشياطين) لا يقربه البدو ولا يقطعون منه شيئاً لأنه (سكن للجن)!!!

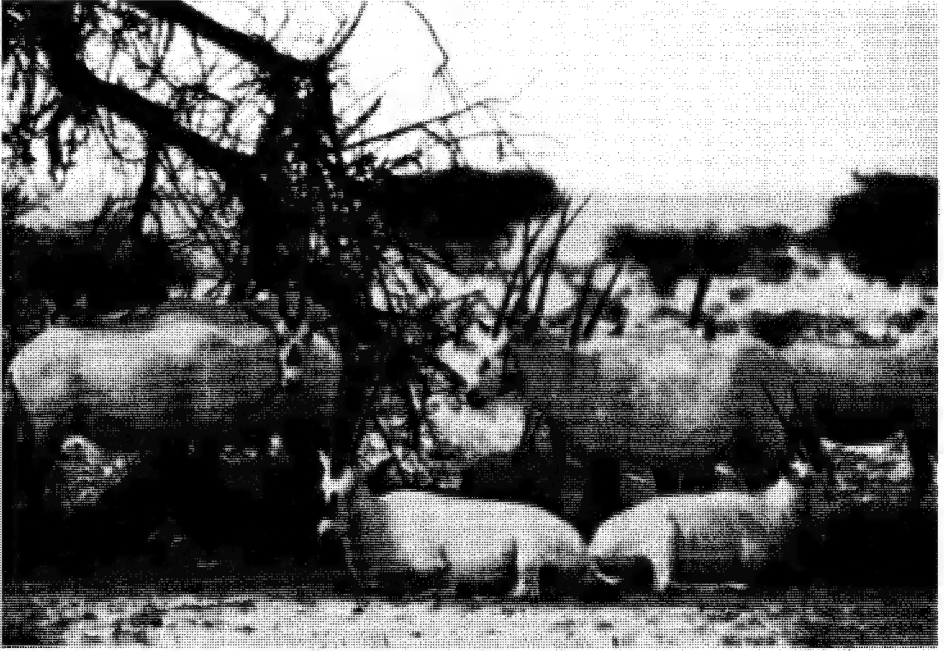
واصلنا السير متوجهين للدوحة مارين برملة بنيان ثم (بقلمه حروان) وهي ماء فواره وبرمله (امباك) ومررنا بعدد من السباخ الصغيرة المتاخمة لحدود قطر، وما هي إلا ساعات حتى اطللنا على الدوحة بأضوائها التي تنعكس على مياه الخليج العربي الذي غادرناه منذ تسعة عشر يوماً وكان وصولنا للدوحة في تمام الساعة ١١ من مساء يوم الثلاثاء الموافق ٢٣ شباط ١٩٦٥م.

(1) Thomas, Bertram, Arabian Felix, op. cit, P. 161.

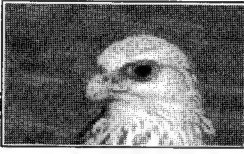
(2) Philpy, H.st.B., The Empty Quartex, op.cit.,p 163-166.



أنقاذ المها وعودته إلى وطنه في جده الحراسيس



مجموعة من المها (الوضيحي) في إحدى مجمعات الصيد في المملكة العربية السعودية
(أخذت الصورة من ألبوم الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها - الرياض)



انقاذ المها

يعتبر المها العربي الابيض - كما سبق ان قلنا - من الحيوانات النادرة الوجود أو قد أصبحت منعدمة الوجود في حالتها الوحشية الطبيعية الفطرية، وما هو موجود منها اليوم هو عبارة عن أعداد تفتت المحافظة عليها في حدائق الحيوان والمحميات.

وقد تحدث عنه عدد من العلماء ووصفوه منذ القرن الثامن عشر، ففي سنة ١٧٨١م وصفه العالم الانجليزي (ماننت) كما وصفه سنة ١٨٩٧م عالم التاريخ الطبيعي الروسي (بالاس) وذكر مميزاته العامه.

وقد حذر الرحالة المكتشف الهولندي (دان فان ديلون) من انقراض المها وذلك على ضوء رحلاته في الجزيرة العربية من سنة ١٩٣٠م - ١٩٤٠م، والتي أصدر فيها كتابه (آبار ابن سعود) وقد ألقى هذا العالم اللوم على الغرياء في إنقراض المها إذا أنهم كانوا أول من استعمل الاسلحة النارية لصيده^(١).

وقد سجلت في عام ١٩٣٠م آثار مجموعتين من المها واحدة في جنوب الربع الخالي والثانية في شمال صحراء النفوذ، كما سجل في عام ١٩٥٤م آخر آثار المها في صحراء النفوذ في المملكة العربية السعودية وفي عام ١٩٢٧م اصدر عالم التاريخ الطبيعي (هاندرسون) تقريراً من المها في عُمان أعرب عن فقدان الامل تماماً في وجود المها العربي في البراري ولكن الواقع اثبت ان آخر مجموعه من المها ربما كانت تلك المجموعة التي امسكنها حية عام ١٩٦٥م في رحلتنا إلى الربع التي هي موضع حديثنا بالرغم من أن بعضهم كان يعتقد بوجود اعداد تتراوح بين ١٠٠ - ٢٠٠ في الربع الخالي وفي جدة الحراسيس حتى عام ١٩٧٠م.

(١) راجع أحمد محمد غندور، مصدر سابق، ص ٦٧، ٦٨.



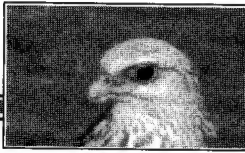
ويعتبر المها هدفاً سهلاً وثمانياً للصيادين: ولذلك يشدون اليه الرحال مسافات تصل إلى أكثر من ألف كيلو متر من أجل صيده، ولكن ومع الاسف الشديد اتخذ البعض هواية الصيد نوعاً من العبث وتعبيراً عن شهوة القتل، وذلك لان هذا البعض كان يستعمل السلاح كالبنادق والرشاشات من اجل قتل الغزلان النادرة، والوضيحي (المها) ليعود إلى خلأته ويفتخر بانه اصطاد مئات الغزلان وعشرات من المها في يوم واحد بينما لا يستفيد من لحمها بل تطرح ارضاً وتبقى جيفاً إلا اعداداً بسيطة قد تستعمل للاكل أو الهدايا وهذا ما ادى إلى انقراض بعض تلك الحيوانات مثل المها. ولولا التشريعات الحكومية الصارمة بمنع الصيد لانقرضت انواع أخرى من الحيوانات البرية.

لذلك قامت هيئات ومنظمات حكومية ودولية تنادي بضرورة المحافظة على عدد من الحيوانات النادرة ومنها المها العربي الابيض، ومن هذه المحاولات ما قامت به عدة حدائق للحيوان ما بين عام ١٩٤٨م - ١٩٦٣م مثل (ديسندن بالمانيا) وباريس، والقاهرة، وواشنطن، ونيويورك، وفلادلفيا، (وبرستول ببريطانيا) هذا بالاضافة إلى ما كان موجوداً في حديقة حيوانات الرياض. ومن المحاولات الجادة التي جرت في هذا المجال.

١ - القطيع الدولي عام ١٩٦٢م :

قام الصندوق الدولي للحفاظ على الحياة البرية والاتحاد العالمي لصون الطبيعة والمصادر الطبيعية والجمعية العالمية للمحافظة على الحيوان والنبات عام ١٩٦٢م بالحصول على قطيع من المها من صحراء الربع الخالي على الحدود بين اليمن الجنوبي ومسقط، ويبدو أنها امسكت في جدة الحراسيس. وقد كلف الميجور (جريموند) رئيس حراس الصيد في كينيا بمهمة الحفاظ عليهما.

ارسل هذه القطيع المكون من ذكرين وانثى إلى كينيا للحجر الصحي ومن



هناك نقلت إلى فينوكس بولاية اريزونا في امريكا الشمالية لتشابه البيئة.

وفي عام ١٩٦٣م اهدت المملكة العربية السعودية اربعة رؤوس من المها وانضم اليها اثنان من حدائق حيوانات أخرى ارسلت إلى حدائق حيوان فينوكس باريزونا ليصبح مجموعها تسعة وبذلك وجدت نواة القطيع الدولي الذي بدأ بالتكاثر حتى وصل عدده في امريكا عام ١٩٧٢م إلى ٣٠ مهاة وعام ١٩٨١م إلى ١٣٠ مهاة وعام ١٩٨٣م إلى ١٥٠ مهاة^(١).

وقد قسم المها إلى ثلاث مجموعات وزعت في امريكا خوفاً من الاصابة بالامراض وهي موجودة الآن في حدائق حيوان (لوس انجلوس - وفينوكس وسان دياجو).

٢ - مركز السليمي في قطر :

كان لرحلة الشيخ قاسم بن حمد آل ثاني - وزير معارف قطر الاسبق - عام ١٩٦٥م واحضاره أكبر قطيع للوضحي (المها) حياً وحفظها في مزرعته في السليمي في قطر ورعايتها، المحاولة الاولى من نوعها على هذا المستوى، إذ بلغ عدد القطيع الذي امسكناه في من جدة الحراسيس ١٢ مهاة. ولم يكن مجموع ما في العالم في حدائق الحيوان بالاضافة القطيع الدولي ما يساوي هذا العدد.

وقد هباً الشيخ قاسم في مزرعته كل الوسائل اللازمة لحماية هذا الحيوان وتهئية المناخ المناسب لتكاثره، وقد نجح في ذلك نجاحاً كبيراً إذ وصلت اعداد المها عام ١٩٧٣م إلى ٧٦ مهاة.

وكانت جمعيات المحافظة على الحيوانات النادرة قلقة جداً على مصير المها العربي الابيض (الوضحي) الذي يوشك على الانقراض من الجزيرة العربية

(١) مجلة اليمامة، العدد ٩٦٦ بتاريخ ١/ ذي الحجة / ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م الموافق

٨/يناير/١٩٩٢م وكذلك مجلة اليمامة عدد ١١٨٨ السنة / ١٤ تاريخ ٤/ رجب/ ١٤١٢هـ

وكذلك احمد محمد غندور، مصدر سابق، ص ٧٦، ٧٧.



حيث موطنه الاصلي. وقد عقدت تلك الجمعيات عدة اجتماعات لهذا الغرض، ومنها ذلك الاجتماع الذي عقده المسؤولون عن صندوق الحياة البرية في سويسرا والذي حضره دوق (ادنيهره) الذي تبرع بعشرة الاف دولار لانقاذ المها (الوضيحي)^(١).

وقد اهتمت جمعية المحافظة على الحيوانات النادرة التي مقرها لندن بمجموعة المها في مزرعة السليمي في قطر وطلبت من الشيخ قاسم زيارة المزرعة والاطلاع على حالة القطيع الذي اخذ يتوالد باستمرار - وقد وجهت الدعوه إلى مستشار الجمعية الذي حضر إلى قطر عام ١٩٦٦م وابدى سروره واعجابه بما شاهده هناك^(٢).

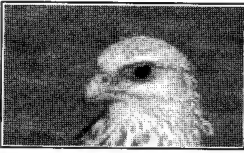
وقد ولدت فكرة امساك المها حياً عند الشيخ قاسم منذ رأى وسمع كيف يقوم بعض الصيادين باستعمال البنادق بصورة عشوائية لابتادة هذا الحيوان، فقام بعدة رحلات قبل عام ١٩٦٤م ولكن اهم تلك الرحلات كانت عام ١٩٦٥م.

وذلك عندما سمع عن وجودها في جده الحراسيس، وجهاز حملة من السيارات الخاصة عابرة الصحراء، وعبر الربع الخالي عندما وصل إلى جدة الحراسيس حيث وجد قطيع المها المذكور وطارده بالسيارات وامسكه بالحبال على طريقة (الكابوي) رعاة البقر، واحضر منه إلى مزرعة السليمي في قطر ١٢ مهاة كانت نواة لأكبر قطيع موجود في العالم حتى ذلك الوقت.

وظل هذا القطيع يتوالد ويتكاثر خاصة بعد أن هياً له الشيخ قاسم بن حمد آل ثاني كل اسباب الراحة والرفاهية وزود القطيع باحجار من ملح الطعام لأنه لوحظ أن الوضيحي (المها) يقطع مئات الكليو مترات احياناً في الربع الخالي ليصل إلى سبخة ملحية ليلحس الملح، لذلك وضعت له احجار الملح بالقرب من

(١) انظر صورة اعلان انقاذ المها في ص ١٦٣ من هذا الكتاب.

(٢) انظر الرسالة المذكور، ص ١٦٤ في هذا الكتاب.



مجموعة من المها (الوضيحي) في مزرعة السليمي شمال قطر أحضرت حية من جدة الحراسيس

أماكن الطعام وكان لها اطيّب الاثر على تحسّن صحته ونموه وتكاثره.

وقد تكاثر الوضيحي بصورة منتظمة في مزرعة السليمي ولوحظ ان الانثى تضع مولودها بعد حوالي تسعة اشهر وتلد واحداً واحياناً اثنين، كما لوحظ انها تعود إلى الحمل بعد عدة أيام من الولادة.

وعندما وصل عدد المها في مزرعة السليمي إلى ٧٣ رأس عام ١٩٧٣م، تم اهداء اعداد منه إلى عدد من حدائق الحيوان والمحميات الحيوانية، في السعودية، وعمان، والاردن وغيرها.

ونتيجة لجهود الشيخ قاسم بن حمد آل ثاني في المحافظة على هذا الحيوان النادر بادرت عدة منظمات دولية للحفاظ على الحيوانات النادرة بتوجيه خطابات شكر له، ودعوته لزيارتها وقد قام فعلاً بزيارة بعضها وعين رئيساً فخرياً لاحداها.



وبعد وفاة المرحوم الشيخ قاسم اشرفت حكومة قطر على ذلك القطيع من الوضيحي، وأمر رئيس الدولة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني بإنشاء مركز خاص وضع فيه هذا الحيوان تحت الرعاية المستمرة.

٣- مركز الملك خالد، ومركز الطائف في المملكة العربية السعودية :

جمع الملك خالد بن عبدالعزيز عدداً من حيوان المها (الوضيحي) في مزرعته (الشمامة) بالقرب من الرياض، وكانت هذه المجموعة هي نقطة الانطلاق لجهود الهيئة الوطنية لحماية البيئة وتنميتها التي انشئت بمرسوم ملكي رقم ٢٢ بتاريخ ١٢/٩/١٤٠٦هـ وتبلغ مساحة هذا المركز حوالي ٥٨٠ هكتاراً يحتوي على مجموعة لا بأس بها من الحيوانات البرية تصل إلى ١٨ نوعاً من الحيوانات ذات الاطلاق من أهمها المها (الوضيحي)^(١).

وقد بدأت أبحاث الهيئة المذكور بالاستعانة بخبراء عالميين في وضع الدراسات اللازمة لحماية واكثار هذا القطيع النادر واستطاعت الهيئة أن تحضر عدداً من الوضيحي بالطائرات من حديقة حيوان سان دياجو بامريكا اضيفت إلى القطيع السابق في مركز الشمامة الذي تكاثر عدده حتى اصبح في سنة ١٩٨٦م حوالي ٧٢ رأساً تعيش في حالة شبه برية طبيعية.

وحرصاً من الهيئة على تأمين سلامة هذا القطيع انشأت مركزاً لابعاث الحياة الفطرية في الطائف بالاستعانة بخبراء عالميين.

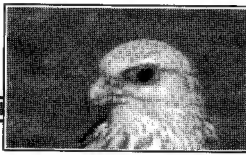
وتم نقل ٥٧ من المها (الوضيحي) إلى هذا المركز وقد اصبح تكاثر هذا الحيوان بصورة طبيعية اذ زادت اعداداه بمركز الطائف عام ١٩٩٠م بنسبة ٢٢٪ عن العام الماضي ١٩٨٩م، ووصل عدده الآن في هذا المركز إلى ١٢٤ مهاة^(٢).

وقد هيأت الهيئة الوطنية محازة للصيد في مركز الطائف بلغت مساحتها

(١) التقرير السنوي للهيئة الوطنية لحماية البيئة وانماؤها، ١٤٠٧هـ/١٩٠٨هـ - ١٩٨٧م -

١٩٨٨م، ص ٤٢، ٧٨.

(٢) تقرير الهيئة الوطنية، المصدر السابق، عام ١٤١١هـ - ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، ص ١٦.



٢١٠٠ كيلو متراً مربعاً كاملة التسييج اطلق فيها ٨٢ رأساً من المها (الوضيحي) تفرقت إلى ١١ قطعاً تتراوح عدد القطيع الواحد من ٢ - ١٨ رأساً^(١) وتعتبر هذه المحمية من الاعمال الرائدة في حماية وحفظ وانماء هذا الحيوان النادر العربي.

٤ - محمية الشومري في الاردن :

انقرض المها (الوضيحي) العربي من براري الاردن حوالي عام ١٩٢٠م وتولت الجمعية الملكية الاردنية لحماية البيئة مهمة استيطان المها العربي، وقد انشأت محمية الشومري عام ١٩٧٥م والتي تبلغ مساحتها ٢٢ ألف دونماً. وقد تم استلام ٣ من المها من القطيع الذي سبق أن احضرناه من جده الحراسيس والموجود في قطر وقد أرسل إلى الاردن عام ١٩٧٨م ثمانية رؤوس من المها (الوضيحي) من القطيع العالمي ٤ ذكور و٤ إناث، وقد تكيف افراد القطيع مع البيئة الطبيعية وتوالد ووصل العدد الكلي إلى حوالي ٣٠ رأساً عام ١٩٨٢م^(٢).

٥ - مشروع يعلوني - جدة الحراسيس - عُمان :

يعتبر هذا المشروع من أهم مشاريع اعادة توطين المها واكثاره والمحافظة عليه، لأنه يقام على أرض جده الحراسيس حيث أن هذه المنطقة كانت آخر معقل لوجود المها (الوضيحي) في حياته الفطرية الوحشية، والتي بقي فيها حراً طليقاً منذ الاف السنين حتى عام ١٩٧٢م حيث شوهد آخر هذه الحيوانات في تلك المنطقة بصورة وحشية.

(١) جريدة الجزيرة السعودية، عدد ٧٤٦٩ بتاريخ ١٨ / رمضان / ١٤١٣ هـ الموافق ١١ / آذار /

١٩٩٣م.

(٢) احمد محمد عذور، مصدر سابق، ص ١٠٠.



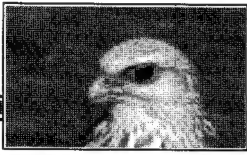
وتتميز هذه المنطقة بأنها هضبة مرتفعة عن السيح - الارض السهلية - ما بين ١٠٠ - ٤٠٠ متر. وهي ومن أكثر المناطق أمناً لهذا الحيوان لأنها شبه معزولة عن مناطق العمران بسبب التصاقها بالربع الخالي من الشمال والغرب الشمالي الذي لا يوجد فيه ما يغري هذا الحيوان بالهروب اليه، كما يوجد في الجنوب والشمال منطقة الجحوف التي لاتصلح لمعيشة المها (الوضيحي) كما وأن هذه المنطقة تتميز بوجود النباتات والاشجار التي يعتمد عليها الوضيحي في غذائه الطبيعي، مثل العبل والزهر والسدر والسمر والرمرام، مما يغريه بالبقاء في هذه جده الحراسيس التي تبعد حوالي خمسمائة كيلو متراً من العاصمة مسقط في منطقة هيمة التي مرّ ذكرها.

وقد اختير (وادي يعلوني) في وسط جدة الحراسيس كأفضل مكان لبداية استيطان المها، وبلغ مساحته حوالي ٥٠٠ كيلو متراً مربعاً.

وقد تولت قبيلة الحراسيس - التي سمّيت الهضبة باسمهم - حراسة هذا المشروع وما فيه من الوضيحي الذي مُنِعَ صيده وصيد كافة الحيوانات في هذه المنطقة بأمر من حكومة عمان.

وقد اهتمت حكومة عمان في اعادة توطين المها في موطنه الاصلي فاستقدمت خبيراً بريطانيا واعدت دراسة لهذا المشروع، ثم بدأت في احضار اعداد من المها والغزلان من مناطق مختلفة من العالم. ففي عام ١٩٨٠م بدأ وصول أول شحنة من الوضيحي عددها خمسة من حديقة حيوان سان دياجو في كاليفورنيا ثم توالى الشحنات حتى وصلت إلى ١٧ رأساً (٨ ذكور و ٩ إناث) بدأت بالتوالد الطبيعي حتى وصل عددها عام ١٩٨٣م إلى ٢٥ رأساً.

وقد بدأت إطلاق سراح الوضيحي، في منطقة مساحتها ١٧٠٠ كيلو متراً مربعاً ليعيش حياته الفطرية الطبيعية، ففي عام ١٩٨٢م اطلق سراح عشرة



منها، كما تم اطلاق ١١ رأساً عام ١٩٨٤م، وفي عام ١٩٨٥م بلغ عدد القطيع الذي يتجول في جدة الحراسيس ٢٧ رأساً منها ١٦ ولدت في نفس المنقطة^(١).

ولعل من أهم اسباب زيادة التناسل في هذا الحيوان هو تهيئة الظروف المناسبة لمعيشته والاشراف عليه طبياً والعناية به عناية كبيرة، وكذلك اختلاط التناسل وعدم الاعتماد على تناسله ضمن المجموعة الواحدة إذ تبين ان (تغريب النكاح) امر مهم في ولاداته الطبيعية، وان التناسل بين نفس اعضاء القطيع لاكثر من ثلاثة اجيال قد يؤدي إلى ظهور الامراض.

«وبهذا تكون الجهود العالمية قد نجحت في تزايد اعداد القطيع العالمي من المها (الوضيحي) العربي الابيض إلى أن وصل عدده في العالم خلال ٢٥ عاماً إلى حوالي ٥٠٠ رأساً^(٢)».

(١) راجع احمد عندور، مصدر سابق، ص ١٠١، ١٠٢ وكذلك جريدة الشرق الاوسط، العدد ٢٣٥١ بتاريخ ١٦ / شعبان / ١٤٠٥ هـ الموافق ٦ / ٥ / ١٩٨٥م وكذلك جريدة الرياض، العدد ١٣ / شعبان / ١٤٠٥ هـ الموافق ١٣ / ٥ / ١٩٨٥م.

(٢) سعود الفيصل تقديم كتاب المها من الاسر إلى التوطين، مصدر سابق، ص ١١.



الخاتمة

ولعل خير ما اختتم به هذا الكتاب هو تحية الإعجاب والتقدير لأولئك البدو الذين رافقونا في هذه الرحلة، وإلى أولئك الأعراب الذين يقطنون الصحراء العربية، والذين لا زالوا يتمتعون بمزايا الوفاء والكرم، وصدق الرجولة.

وأن خير تحية أقدمها لهؤلاء جميعاً ما قاله عنهم وعن أجدادهم رجل مثل ولفريد ثيسغر في كتابه رمال العرب:

« اجل، إن هؤلاء الأعراب الصحراويين، حفاة يكرهون الغرباء، ولا يطيّقون القيود.

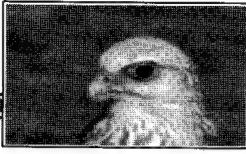
ولكنهم نبلاء. ولأول مرة في تاريخهم اتحدوا في القرن السابع من الجزيرة العربية تحت لواء الإسلام، وجرفوا كل شيء أمامهم.

واحتلوا أغنى مقاطعات الإمبراطورية الرومانية وجميع أراضي الإمبراطورية الفارسية.

وبعد مرور قرن من معركة اليرموك سنة ٦٣٦م التي قررت مصير سورية، امتد حكمهم من جبال البرينة وشواطئ الاطلنطي، إلى الهند وحدود الصين. وأسسوا إمبراطورية مساحتها أوسع من مساحة الإمبراطورية الرومانية. لقد خرجوا من الصحراء يوحدتهم إيمان جديد.

وكان طبيعياً أن يفعلوا ما فعلته حشود اتيليا وجنكيز خان، التي اجتاحت العالم ولم تترك وراءها إلا الخراب.

ولكن إحدى عجائب التاريخ هي أن يخلقوا مدينة جديدة، ويجمعوا في نطاق واحد حضارتي الفرس والبحر الأبيض المتوسط اللتين لم تجتمعا قبل الآن. واللغة العربية، التي كانت قد نشأت كلهجة للقبائل الرحل في صحاري



الجزيرة العربية أصبح يتكلمها الجميع: من بلاد فارس إلى جبال (البرينه) على الحدود الفرنسية الأسبانية، ثم تفوقت على اليونانية واللاتينية، وتطورت حتى أصبحت من أرقى اللغات في العالم.

بانتشار الدين الإسلامي واللغة العربية في الأمبراطورية، قلت التفرقة بين المحتلين العرب ورعاياهم، وأصبح المحتلون المسلمون زملاء لاصحاب الأرض في مجتمع واحد.

وهذه الحضارة الإسلامية تأثرت إلى درجة كبيرة بالفكر اليوناني، لأن العرب ترجموا آثار الفكر اليوناني وأضافوه إلى لغتهم.

ولكنها، مع تأثرها بالحضارات الأخرى لم تكن ابداً مقلدة، بل أن لها مقوماتها الخاصة، ممتزجة بخلاصة حضارات العالم في فن البناء والادب والفلسفة والتاريخ والحساب وعلم الفلك والفيزياء والكيمياء والطب.

وبين المفكرين والأدباء العظام الذين ظهروا في هذا المجتمع نجد عدداً كبيراً من أصل غير عربي ولا يدينون بالإسلام. وكثير منهم كانوا من اليهود والنصارى.

واليوم-عام ١٩٥٠م- يعد الذين يتكلمون العربية ستين مليوناً وأكثر، وليس من المؤكد أنهم جميعاً ينحدرون من أصل عربي.

أن ما يقرب من سبع سكان المعمور، يدينون بالإسلام اليوم، هذا الدين الذي بشر به محمد ﷺ في الجزيرة العربية في القرن السابع.

وهو دين ينظم طقوس المسلم الدينية بالإضافة إلى مجتمعه وكل ناحية من نواحي حياته اليومية، حتى الاغتسال بعد الاتصال الجنسي.

والعادات والتقاليد التي فرضها الإسلام على اتباعه هي عادات الجزيرة العربية وتقاليدها.



واليوم، أينما إتجهت بين المسلمين سواء أكان ذلك في نيجيريا أو في الصين، فستجد كثيراً من الصلوات العربية المألوفة.

وفي اعتقادي أن حضارات العالم اليوم ستمحى تماماً كحضارات بابل وآشور، وأن كتاب التاريخ المدرسي بعد ألفي سنة سيخصص هذه صفحات للعرب دون أن يذكر حتى الولايات المتحدة الأمريكية».



محاولة لأنقاذ "المها"

العربية من الفناء

مورج سويسرا - ذكر المسؤولون عن صندوق الحياة البرية الذي عقد مجلس ادارته جلسة خاصة هنا أن تقدما مشجعا حدث في الجهود الرامية إلى إنقاذ المها العربية من الفناء.

وحضر هذه الجلسة دوق أدنبره رئيس فرع الصندوق في إنكلترا.

وساهم الصندوق حتى الآن بمبلغ ١٠.٠٠٠ دولار في حملته لأنقاذ المها التي أصبحت تعتبر نادرة الوجود في موطنها الأصلي في شبه الجزيرة العربية.

وكانت أول خطوة قد اتخذت قبل ثلاث سنوات من جانب بعثة بريطانية اصطادت أربعاً من المها في الصحراء السعودية.

ونقلت المها بالطائرة من الرياض إلى حديقة الحيوانات في فونيكس بولاية اريزونا لأن مناخها صحراوي.

وكان الهدف من ذلك زيادة نسل هذه المها.

نوفمبر - ١٩٦٥ م



رسالة

من جمعية المحافظة على سلالات الحيوانات النادرة « من لندن ».

قطيع المها العربي في مزرعة سمو الأمير قاسم بن حمد الثاني في شمال قطر.

١٧ ابريل ١٩٦٦.

عزيزي الشيخ قاسم

اشكركم على كتابكم المؤرخ ٧ ابريل. لقد سررت كثيراً من زيارتي القصيرة لقطر.

وكان سبب قدومي لقطر هو رغبتى - نيابة عن السلطات الدولية في المحافظة على النسل - في أن أرى عن كثب القطيع الذي لديكم من الوضيحي، ويؤسفني أنني لم أتمكن من رؤيتكم شخصياً وكم كان بودي أن اتحدث إليكم عن الخطط المقبلة لحفظ هذا النوع من الحيوانات. وكما تعلمون بهذا النوع الذي سينقرض من البراري.

واحسن طريقة للمحافظة على هذا النوع هي إقامة أمكنة خاصة مناسبة لعدد منه كي يستطيع أن يتناسل.

وكم لفت نظري وأثر في نفسي - منظر القطيع الممتلئ صحة ونشاطاً في مزرعتكم. إن لدى السلطات الدولية لحفظ النسل قطيع من الوضيحي العربي بامريكا، الذي يتناسل بصورة جيدة ولسوء الحظ فإن كل المواليد الخمسة الأخيرة كانت ذكوراً.

وكذلك قطيعكم له أهمية كبرى لضمان بقاء هذا النوع.

وأني اتساءل إذا كنتم تسمحوا لي بتقديم بعض الاقتراحات للمستقبل - بكل احترام. أولاً: بالنسبة إلى قطيعكم فاني متأكد بانكم توافقون على عمل حظيرة أخرى في المستقبل. وفي رأيي أن أكبر عدد يمكن حفظه في حظيرة واحدة يجب أن يكون ١٥ وضيحيًا، وزيادة عدد الوضيحي عن ذلك في مكان واحد يسبب القتال بينهم كما يسبب التوتر وتقل نسبة التوالد. ولا بد أن يسركم حين تعلمون أن عند أخذ عينة من لطمع الوضيحي في مزرعتكم ثبت أنها خالية من الطفيليات إطلاقاً. وتعتبر هذه اخبار سارة لأن



الطفيليات الداخلية في الوضيحي تسبب مشاكل خطيرة لقطيع بري محصور.

ثانياً : أرجو أن تسمحوا لي بأن أرفع نصيحتي لسموكم عن النقل السليم للوضيحي في السيارات من الصحراء إلى بلدكم وهو طريق طويل جداً. فمن خبرتي العملية وجدت أن أحسن طريقة في المحافظة على حياتهم بأن يوضع كل وضيحي لوحده في صندوق خشبي مشبك ذو فتحات واسعة. وبذلك يشعر باطمئنان ولا يزعجه كونه مربوطاً، وهناك ادوية معينة يمكن حقنه بها كي تقاوم تأثير الصدمة الواقعة عليه عند صيده، وقد ثبتت فائدة الادوية المذكورة في المحافظة على حياة الوضيحي الذي تم صيده حديثاً. وأني اتساءل إذا كان ممكناً أن تسمحوا لي بزيارتكم في قطر في نهاية هذا العام وربما ارافقكم لصيد الوضيحي في رحلة إلى الربع الخالي. وأني متأكد من مساعدتكم في صيد ونقل بعض الوضيحي بأمان إلى مزرعتكم وبطيب لي كثيراً صيد الصقور تلك الرياضة التي يعتبر سموكم بارعاً فيها.

وأني متأكد بأن سموكم ستعرفون من هذا أن السلطات الدولية لحفظ النسل تنظر بعين الاعتبار إلى القطيع من الوضيحي الذي لديكم، إذ أنه ذو أهمية كبرى لحفظ النسل في المستقبل لهذا النوع من الحيوانات المنقرضة وأنهم مستعدون لتقديم كافة المساعدات الممكنة لسموكم.

أرجو أن تتقبلوا عظيم قنياتي ونحياتي ...

المخلص

ميشيل وود فورد



April 17th 1966

Dear Sheikh Qassem,

Thank you for your kind letter of April 17th, I very much enjoyed my short visit to Qatar.

The reason I came to Qatar was that I wanted, on behalf of the International Conservation authorities, to see your captive herd of Arabian Oryx. I was sorry that I was not able to see you personally because I would very much have liked to have talked to you about future plans for the conservation of this unique species. As you are no doubt aware, there is some concern in International Conservation headquarters that the Arabian Oryx will soon become extinct in the wild state. The best hope of saving this species is to establish captive breeding herds in suitable places, and I was most impressed by the sight of your very healthy and thriving herd at your farm. The International Conservation authorities have a captive herd of Arabian Oryx in America which is breeding quite well but unfortunately all 5 of the calves so far born have been male. Your herd is therefore of the greatest importance as an insurance for the future survival of the species.

I wonder if I might make, with respect, some suggestions for the future. Firstly, with regard to your captive herd, I am sure that you will agree that before very long you will have to build another enclosure. In my opinion the maximum number of Oryx that you can safely maintain in the present enclosure is about 15. Increased numbers will result in fighting, social tension and maybe a decline in breeding success. You will be glad to hear that a dung sample which I took from the Oryx on your farm was completely free of parasites. This is good news because internal parasites could be a serious problem in an intensively kept captive herd. Secondly, I would like to be permitted to advise you on the safe transport of Oryx in motor vehicle when you have captured them a long way from home in the desert. I have found from personal experience that the only way to ensure a high survival rate is allow each animal to be transported in individual wooden crate. Thus each animal has a safe refuge and does not have to bear the very frightening experience of being tied up. There are also certain drugs and medicines which can be given by injection to counteract the effects of the shock of capture and which I have found to be very useful for saving the lives of newly captured Oryx.

I wonder if I might be permitted to visit you in Qatar later in the year and perhaps accompany you on an Oryx hunt in the Rub Al Khali. I am certain that I could help you to capture and transport some Oryx safely back to your farm.

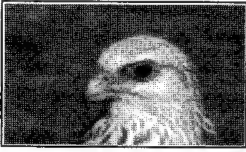
I am also extremely interested in hunting with falcons, a sport in which you are expert.

I am sure that you will understand from this letter that the International Conservation authorities consider your very fine captive herd of Arabian Oryx to be of the greatest importance for the future survival of this vanishing species and that they are prepared to render you every possible assistance.

Please accept my best wishes and highest regards.

Fauna Preservation Society
Sheikh Qassem Bin Hamad Althani,
Qatar Minister of Education

Yours sincerely,
Michael Woodword
Veterinary Advisor,



رسالة

من أحد الهواة المهتمين بالمها العربي الأبيض الذي أوشك على الانقراض «من روما».

روما ٢٧-٣-٦٤م

الشيخ جاسم بن حمد آل ثاني

وزير معارف قطر

قطر- الخليج العربي

عزيزي الشيخ جاسم

خطوتكم لحماية الوضيحي من الإنقراض بعدم قتله، هي بالفعل عمل محمود لكم، فقد نسى كثير منا الآن أن الصيد كان أصلاً وسيلة لإطعام أنفسنا وعائلاتنا، ثم أصبح رياضة تزاولها الطبقات الحاكمة بالسهام والرماح، ووقتها كان أمام الحيوان فرصة للنجاة، أما الآن فقد قضت البنادق الحديثة على هذه الفرص، فضاع بذلك جزءاً كبيراً من المعنى الرياضي.

في أي جزء من أجزاء العالم يشعر الانسان بالراحة والإطمئنان إذا كانت لديه بندقية، لكنني شخصياً أفضل آلة التصوير، لأنني أعتقد أن تصوير هذه الحيوانات هي الرياضة الحقيقية، وقد شاهدت أناساً يذهبون إلى أفريقيا مدة ثلاثة أسابيع ثم يعود الشخص منهم وهو يحمل ثمانين رأساً كذكرى للنصر، أن هذا يشبه إلى حد كبير أحد المذابح الضخمة. ومع أنني أعرف الكثير من أجزاء منطقة الخليج العربي إلا أنني لم تتح لي فرصة زيارة قطر. فإذا أسعدني الحظ وجئت إلى قطر فأني أود أن أتمكن من زيارة مزرعة تربية الحيوانات التي تحتفظون بها، لأنني أود أن أرى الوضيحي والغزلان في وطنها وهي لاتكاد تخشى من حولها من بشر.

تمنياتى الطيبة لطريقتكم في حماية الحيوانات من الإنقراض.

المخلص

م. م. برانتلي

مهندس استشاري

روما - إيطاليا



Rome, 27-3-1964

Sheikh Jassem Bin Hamed Al Thani
Minister of Education
Qatar
Arabian Gulf

My dear Sheikh Jassem,

Your move to save the Oryx from extinction by needless slaughter is indeed a commendable purpose.

Too many of us in these times have forgotten that hunting originated as a means of feeding one's family, then became a sport of the ruling classes, but with spears or bows and arrow where the animals had a reasonable chance. With todays highpowered rifles most of the sport has gone.

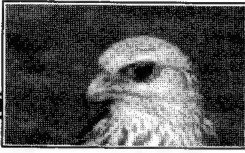
Having a rifle with you in many parts of the world is a conforing feeling, but, to me, the real sport is with a camera. I have seen people make a three weeks trip to Africa and return with eighty heads to display as trophies. Very similar in many respects to a large slaughter house.

Although I know much of the Arabian Gulf area, I have never had the opportunity of visiting Qatar. If I am ever fortunate enough to get there, I would very much like to see your reserve or breeding farm, and see the Oryx and gazelles in their natural habitat, and more or less unafraid of human beings.

My best wishes for the success of your reservation scheme.

Yours very truly,
M. M. BRANTLY

M.M.B./wf



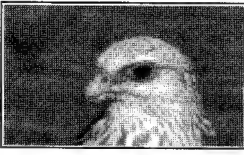
المراجع

- (١) القرآن الكريم .
- (٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير .
- (٣) السيرة النبوية، (لابن هشام - السيرة الحلبية للحلبي - الطبقات الكبرى لابن سعد) .
- (٤) السنة النبوية (صحيح البخاري- سنن أبي داود).



المراجع حسب ورودها في الكتاب

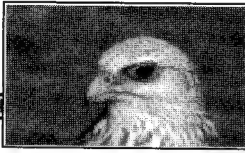
- ١- عباس مصطفى الصالحي، الصيد والطرْد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م.
- ٢- عبد الله بن محمد بن خميس، محاضرات وبحوث، الطبعة الأولى، الرياض ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
- ٣- البيزرة: تحقيق محمد كرد علي، دمشق، ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م.
- ٤- الدكتور عبد الهادي التازي، القنص بالصقْر بين المشرق والمغرب، من منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٥- المسعودي، مروج الذهب، دار المعرفة، بيروت.
- ٦- محمد بن منكلي، انس الملا في وحش الخلا، طبعة باريس ١٢٩٨هـ - ١٨٨٠م.
- ٧- الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا، شعر الطرد إلى نهاية القرن الثالث الهجري، مؤسسة الرسالة - دار النفائس، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- ٨- أبو عبد الله الحسن بن الحسين، البيزرة، المجمع العلمي بدمشق، ١٩٥٢هـ - ١٩٧٢م.
- ٩- كشاجم، أبو الفتح محمود بن الحسن الكاتب، المصايد والمطارِد، تحقيق الدكتور محمد اسعد طلس، مطبوعات دار اليقظة، بغداد، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م.
- ١٠- ابن الاثير، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة السادسة.



- ١١- الطبري، محمد بن جرير الطبري، تاريخ الامم والملوك، مؤسسة عز الدين للطباعة، والنشر، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ١٢- عيسى بن حسان الاسدي، الجمهرة في علوم البيزرة، نقلاً عن مخطوط كتب منه نسخه عام ٥٧٢هـ - ١١٧٦م، بمكتبة ايا صوفيا.
- ١٣- المقرئزي، خطط المقرئزي.
- ١٤- أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الحادية عشرة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ١٥- محمد علي الاكوع الحوالي، اليمن الخضراء مهد الحضارة، الطبعة الثانية، مكتبة الجيل الجديد، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ١٦- ابن سيدة، أبو الحسن علي بن اسماعيل النحوي اللغوي الاندلسي المعروف بابن سيدة، المخصص، تحقيق لجنة أحياء التراث العربي في دار الافاق الجديدة، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت.
- ١٧- الصيد والطرء عند العرب، مؤلف مجهول، تحقيق الدكتور ممدوح حقي دمشق، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.
- ١٨- الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا، الصيد عند العرب، مؤسسة الرسالة دار النفائس، الطبعة الأولى، بيروت، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- ١٩- الدكتور فارس التميمي، الصقور عند العرب، الدوحة - قطر، ١٩٩٢م.
- ٢٠- كشاجم، كتاب البزيرة (البزرة) المعروف بكتاب الترة (الصيد) وهي رساله مخطوطة نادرة دارسه وتحقيق د. محمد عيسى صالحية، كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، الكويت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.
- ٢١- زايد بن سلطان آل نهيان، رئيس دولة الامارات العربية المتحدة، رياضة الصيد بالصقور من تراثنا العربي، أبو ظبي ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.



- ٢٢- صباح الاعشي، للقلقشندي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٣٢هـ - ١٩١٣م.
- ٢٣- النويري نهاية الادب في فنون الادب- القاهرة، ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م.
- ٢٤- توفيق يوسف القبسي، دليل الطيور في قطر، الجزء الأول، الدوحة، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- ٢٥- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
- ٢٦- الدميري، كمال الدين الدميري، حياة الحيوان اللكبري، دار الفكر، بيروت.
- ٢٧- محمد اسد، الطريق إلى الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨١م.
- ٢٨- أحمد محمد غندور، المها من الاسر إلى التوطين، مطبوعات الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وأنمائها، جدة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- ٢٩- ابن منظور، لسان العرب.
- ٣٠- الدكتور سليمان محمود سليمان، المها الأبيض العربي قديماً وحديثاً، الدوحة ١٩٧٦م.
- ٣١- القزويني، زكريا بن محمد القزويني، عجائب المخلوقات.
- ٣٢- المرزبان، فضل الكلاب على كثير ممن ليس الثياب، القاهرة، ١٣٤١هـ - ١٩٢٢م.
- ٣٣- أحمد حسن الياقوري، في عالم الصيد، الطبعة الأولى، دار الفتح ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.



المجلات والصحف والتقارير

- مجلة البراق، بيروت.
- مجلة الوسط، لندن.
- مجلة الاجنحة الملكية الاردنية - عمان.
- مجلة اليمامة، الرياض.

* * *

- جريدة الجزيرة، الرياض.
- جريدة الرياض، الرياض.
- جريدة الشرق الأوسط، لندن.

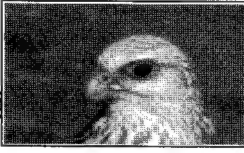
* * *

- التقرير السنوي للهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وانمائها، ١٤١١هـ - ١٤١٢هـ - الموافق ١٩٩١م.
- التقرير السنوي للهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وانمائها، ١٤٠٧هـ - ١٤٠٨هـ الموافق ١٩٨٧م - ١٩٨٨م.



مراجع أجنبية

- 1- Thesiger, Wilfred, Arabian Sands, London Book Club Associates, London, 1971.
- 2- Tom, J.Cade, Falcon of The World.
3. Handbook of the Birds of Europe, the Middle East and North Africa. vol. 1,2 & 3, Cramp & Simons.
4. Birds of the Prey of the World: Friedhelm Weick & Leslie Brown.
5. Patricia A. Little, Ahlan Wasahlan, Saudia Air Lines Magazin. Riyadh.
6. Virgina M. Burch, Salukis, T.F.H, Plasa, Neptune City, Canada,P.6.
7. Gardiner, A., Egypt of the Pharoahs: Clarindon Press, Oxford, 1961.
8. Thomas, Bertram, arabian Feleix: Across the Empty Quarter of Arabia, Readers' Union Ltd. London, 1938.
9. Philby H. St J.B. The Empty Quarter, London, constable & company Ltd., 1933.



من كتب البيزرة في تراثنا العربي

لم تترك امتنا العظيمة مجالاً من مجالات العلم إلا ابدعت فيه ابداعاً كان مثلاً لجميع الأمم المتطلعة إلى المجد والتقدم. وقد كان علم البيزرة من العلوم التي كتب فيه اجدادنا ما لم تكتب فيه أمة. نورد هنا بعضاً من تلك المؤلفات ليرجع إليها من شاء من المهتمين بهذا العلم.

(١) **الطيور** : أدهم بن محرز الباهلي توفي عام ١٦٩هـ - ٧٨٥م تقريباً مخطوط محفوظ في الخزانة التيمورية بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة تحت رقم ٢ تروسية تيمور.

(٢) **البازي** : أبو عبيد بن معمر بن المثنى توفي عام ٢٠٩هـ - ٨٢٤م.

(٣) **في الصيد** : محمود بن حسن الوراق الحنفي توفي عام ٢٢٥هـ - ٨٣٩م.

(٤) **البزاة والصيد** : أبو دلف القاسم بن موسى توفي عام ٢٢٦هـ - ٨٤٠م.

(٥) **الجوارح واللعب بها** : أبو دلف القاسم بن موسى توفي عام ٢٢٦هـ - ٨٤٠م.

(٦) **الصيد والجارح** : الفتح بن خاقان توفي عام ٢٤٧هـ - ٨٦١م.

(٧) **الطرد** : أحمد بن أبي طاهر طيفور توفي عام ٢٨٠هـ - ٨٩٣م.

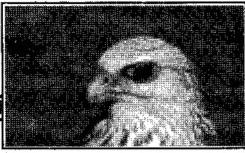
(٨) **الجوارح والصيد بها** : أحمد بن أبي طاهر طيفور توفي عام ٢٨٠هـ - ٨٩٣م.

(٩) **الجوارح والصيد بها** : عبد الله بن المعتز توفي عام ٢٩٦هـ - ٩٠٨م.

(١٠) **منافع الطير** : أو (كتاب الطير) الحجاج بن خيثمة توفي عام ومنه نسخه في المكتبة البودلية باكسفورد، تحت رقم ص.ن.م.خ. ٤٨ وكذلك نسخة بالمكتبة التيمورية تحت رقم ٢.



- (١١) **المصايد والمطارد** : كشاجم (محمود بن الحسين أبو الفتح) توفي ٣٥٨هـ - ٩٦٨م. وهو من أشهر كتب البيزرة.
- (١٢) **البيزرة** : الحسن بن الحسن، بازيار العزيز بالله القاطمي توفي ٣٨٦هـ - ٩٩٦م، تحقيق محمد كرد علي، دمشق، ١٩٥٣، وقد طبع قبل كتاب كشاجم المشهور بسنة ونصف.
- (١٣) **البيزرة** : ابراهيم البصري، ألف زمن هارون الرشيد ونقل عنه المنكلي في تتاين انس الملا.
- (١٤) **الصيد للخالدين** : وهما محمد أبو بكر بن بكر بن هاشم وسعيد أبو عثمان بن هاشم من قرية الخالدية قرب الموصل، توفي محمد أبو بكر عام ٣٨٠هـ - ٩٩٠م.
- (١٥) **المصايد** : الطبيب عيسى الرقم القرن الرابع الهجري.
- (١٦) **رسالة الطرد** : ابن أبي الطيب الباخري المقتول عام ٤٦٧هـ - ١٠٧٤م، تحقيق الدكتور محمد قاسم مصطفى كلية الاداب جامعة الموصل.
- (١٧) **القوانين السلطانية في الصيد** : القاسم بن عل الزينبي توفي عام ٥٦٣هـ - ١١٦٦م. مخطوط محفوظ في خزانة الفاتح بالمكتبة السلمانية باستا نيول تحت رقم ٣٤٥٨.
- (١٨) **الجمهرة في علوم البيزرة** : عيسى بن حسان الاسدي، توفي عام ٥٧٢هـ - ١١٧٦م. مخطوط محفوظ في مكتبة ايا صوفيا في القسطنطينية رقمها ٣٨١٣، وهناك نسخة في مكتبة السكوريال باسبانيا تحت رقم ٩٠٣ مضاف.
- (١٩) **المنصوري في البيزرة** : ابن الحشاء أحمد بن محمد أبو جعفر، توفي في القرن السابع الهجري، تحقيق عبد الحفيظ منصور، وقد ورد في بعض المراجع أن إسم المؤلف المستنصر الحفصي



(٦٧٥هـ-٦٤٦-١٢٤٩-١٢٧٧م) ومن الكتاب نسختان في المكتبة الاحمدية في تونس. وقد نشر قسم منه في مجلة المشرق عام ١٩٦٨م. مجلد ٦٢، ص ١٦٥.

(٢٠) **البازي** : بدر الدين بكتوث بن عبد الله الخزاندار الرماح الظاهري الاشرفي توفي عام ٦٩٤هـ-١٢٩٤م. مخطوط محفوظ في مكتبة أياصوفيا.

(٢١) **البيـزرة** : لسان الدين الخطيب توفي عام ٧٧٦هـ-١٣٧٤م.

(٢٢) **انس الملا بوحش الفلا** : محمد بن منكلي ألفه عام ٧٧٣-١٣٧١م. وتوفي عام ٧٧٨هـ-١٣٧٦م. ومنه نسخة في المكتبة التيمورية في دار الكتب في القاهرة تحت رقم ٦٨ فروسية. بالإضافة إلى النسخة المحفوظة في المكتبة الوطنية بباريس، وقد طبع في باريس عام ١٨٨٠م.

(٢٣) **منافع الطير وعلاجات دائها** : ادهم بن محرز الباهلي، ٧٩٨هـ-١٣٩٥م. حققه سعيد سلمان أبو عاذرة، مركز الوثائق والدراسات في أبوظبي مخطوطه من عصر الخليفة هارون الرشيد محفوظة في الخزانة التيمورية بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة تحت رقم ٢ فروسية تيمور.

(٢٤) **الجوارح وعلم البزدرية** : أبو بكر بن حسن القاسم العلوي، توفي عام ٨٤٨هـ-١٤٤٤م. مخطوطة محفوظة في مكتبة باريس الأهلية تحت رقم ٢٨٣١.

(٢٥) **مناهج السرور والرشاد في الرمي والسباق والصيد والجهاد** : عبد القادر بن أحمد بن علي الفاكهاني توفي عام ١٩٤٨هـ-١٥٤١م. مخطوط محفوظ في مكتبة باريس الأهلية تحت رقم ٢٨٣٤.



(٢٦) القانون في علم البيزرة : مؤلفها مجهول مخطوطة في دار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ١ فروسية تيمور، وهناك نسخة أخرى في بايزيد عمومي باستانبول يبدو أن عنداتها (القانون الواضح في البيزرة).

(٢٧) فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب : المرزيان، طبعة في مصر بمطبعة توفيق، القاهرة، ١٣٤١هـ-١٩٢٢م.

(٢٨) الصيد والطرد عند العرب : مؤلفه مجهول حققه ممدوح حفي ونشر في دمشق عام ١٩٦١م، ويحمل أيضاً عنوان نزهة الملوك والسادات بالطيور والجوارح، وقد ألف في القرن التاسع أو العاشر الهجري.

(٢٩) الكافي في البيزرة : عبد الرحمن بن محمد البلدي، حققه وقدم له احسان عباس وعبد الحفيظ منصور، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٣م.

(٣٠) انتهاز الفرص في الصيد والقنص : حمزة بن عبد الله الناشري توفي عام ٩٧٥هـ. وهو مخطوط محفوظ في المكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم ٨٤٩١ عام.

(٣١) الزند الواري في احوال الجوارح والضيواربي : مخطوط محفوظ في خزانة اياصوفيا بالمكتبة السلمانية باستانبول.

(٣٢) رسالة في الطيور الجارحة : مخطوطة محفوظة في الخزانة، الحميدية بالسلمانية في استانبول. كان مجاهداً فارساً مقاتلاً مع نور الدين زنكي وصلاح الدين الايوبي.

(٣٣) الاعتبار : اسامه بن منقذ (مؤيد الدولة أبو مظفر) ألف في القرن الثالث عشر الميلادي، وتم نشر المخطوطة على يد الأستاذ هادتوغ دريتورغ في مطبعة ليدن عام ١٨٨٤م. والمخطوطة موجودة في مكتبة الاسكوريال باسبانيا، وقد طبعتها جامعة برنستون في أمريكا عام ١٩٣٠م، وحققها واعاد نشرها الدكتور فيليب حتي.

الفهرست

صفحة

٦	(١) المقدمة
٩	(٢) مدخل
١٤	(٣) الصيد عند العرب
٢٠	(٤) الصيد في العصر الاسلامي
٢٧	(٥) اجتياز الربع الخالي
٣٢	(٦) السابقون
٣٦	(٧) القافلة
٣٩	(٨) البحايس
٤٥	(٩) الرمال المتحركة
٥٠	(١٠) اقتفاء الأثر
٥٣	(١١) جوز السنام واقواس النصر
٥٩	(١٢) الصيد بالجوارح والكلاب
٦١	(١٣) الصيد بالصقور
٧٤	(١٤) هواية الصيد بالصقور في المغرب العربي
٧٦	(١٥) مراكز تربية الصقور وعلاجها
٨٠	(١٦) الحبارى
٨٥	(١٧) معركة جوية بين شاهين وحباري
٨٩	(١٨) الصيد بالكلاب
٩٦	(١٩) العروق
١٠٠	(٢٠) الجن
١٠٥	(٢١) عين ابو قرون
١١٥	(٢٢) صحراء غنيم
١٢١	(٢٣) جدة الحراسيس وصيد المها
١٢٩	(٢٤) المها العربي الابيض
١٣٩	(٢٥) العودة الى الدوحة
١٤٩	(٢٦) انقاذ المها وعودته الى وطنه في جده الحراسيس
١٦٠	(٢٧) الخاتمة
١٦٩	(٢٨) المراجع

كتب صدرت للمؤلف

- (١) اسرائيل مشروع استعماري (طبعة ثانية)
 - (٢) السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين
السلطان الذي فقد عرشه من اجل فلسطين
 - (٣) الاسلام وفلسطين (ثلاث طبعات)
 - (٤) الصيد والطرء في رحلة الى الربع الخالي (ثلاث طبعات)
 - (٥) الايمان بين الوحي والعقل (طبعة اولى)
 - (٦) فلسطين تاريخاً وقضية (مشاركة)
 - (٧) تاريخ فلسطين وجغرافيتها (مشاركة)
- | | | |
|---|---|--|
| اعتمدت من لجنة خبراء الاسسكو تنفيذاً
لقرارات مؤتمر القمة الاسلامي الخاصة
بتدريس تاريخ وجغرافية فلسطين في
دول العالم الاسلامي | } | <ul style="list-style-type: none">- المرحلة الابتدائية- المرحلة المتوسطة- المرحلة الثانوية |
|---|---|--|